

## « في البدء كان النفور من الحكمة »

لحمد المهدي المهري

لما كانت الفلسفة - من حيث الإستقاق ومن حيث الدلالة - تعني « حب الحكمة » ، فلا بد وأن تمثل إطارا معرفيا ومنطقيا تُحفظ فيه كل العلوم ، إذ « الحب » لا يعنى الشغف والإيتار فقط بل وكذلك الإحاطة والحماية والرعاية .

ولقد التمس القدماء سلما تراتبيا تنتظم به المعرفة من الأسمى إلى الأدنى : العلم التأملي الأكثر تجريدا ( الميتافيزيقا ) يحتل المرتبة الأولى من الدرجة الأسمى ، أما الأقل تجريدا كالفنون والمعارف المرتبطة بالصناعات اليدوية فهي تحتل المرتبة الدنيا من الدرجة الأدنى .

وتُعتبر الفلسفة هي العلم الجامع لكل هذه المعارف ، فهي : « علم العلوم ، وأم العلوم ، وحكمة الحكم ، وصناعة الصناعات » ( ت السعادة ، للغرابي ص 88 ) ويجب أن يكون الفكر الذي سينسجم مع هذه الفلسفة موحداً البنية ، متسقا مع ذاته يقوم على مبدأ أساسي وقاعدي هو : « مبدأ الهوية » ، والذي يعني خلوا الفكر من التناقض والاختلاف والتوسط ( ف «  $A = A$  » وإذا كانت «  $A = B$  » و «  $B \neq C$  » ف : «  $A \neq C$  » ، لذلك فإمّا أن نقبل ب «  $A$  » أو «  $C$  » ولا سبيل لحل وسط ك «  $D$  » مثلا ) .

فهذا المنطق ، هو إذن منطق ( كرونولوجي ) ، منطق العزل والتصنيف والتراتب ، وهو منطق رياضي يتعامل مع الأشياء كأرقام فالأبعد عن المادة أقرب للوحدة ، والأقرب للمادة أقرب للكثرة ، وهو منطق سكوني ، فإمّا أن تكون القضية حقا أو باطلا ، ولا مجال للصيرورة أو للوسطية بين القضيتين المتناقضتين أو المختلفتين ، وأخيرا هو منطق الذاكرة ، إذ يقوم على الموسوعية وتحصيل معارف سابقة حسب تنظيم عقلي محكم ، إذ « العلم تذكّر والجهل نسيان » .

أما إذا اعتبرنا أن الحق ليس حقا مطلقا وأنّ الباطل ليس باطلا مطلقا ، وأن

معارف الإنسان تزداد باستمرار وينتج عن ذلك تغيير في عقائده وقناعاته وسلوكه ، علمنا حينئذ أن المنطق الأرسطي هو مُمكنٌ من بين بعض الممكنات ، ولعلّه الأصلح في المعرفة ولكنه لا يفيد كثيرا في معرفة الحياة وبالتالي الوجود ، أو الفعل البشري وبالتالي السياسة : لأن الحياة تزدهر وتتطور بالاختلاف والتناقض وتُحي وتُنوي بالتماهي والتماثل والسكون ، كذلك الوجود الإنساني الذي هو أشبه بفيوضات متتالية من الشرارات اللامعة التي لا تثبت أن تنطفئ في ظلام العدم لتدافع منها شماريخ جديدة أكثر تلالاً وإضاءة .. فالقول « بأن الفلسفة المعاصرة هي وعي بالتناقض داخل الفكر » بقدر ما هو صعب الاستيعاب ، يُمثل من جهة أخرى دعوة إلى تغيير البنية العقلية المتأثرة بالمنطق الأرسطي .

ولكن : ما الذي يبرّر القول بأن مبدأ الهوية يفتقر إلى الهوية ، وبين العلم لم يقتصر على التذكر والتحصيل ، وأن الوعي تتخلله حالات من التمرّد ومن اللّوعي ؟ وعلى أي أساس يستقيم القول « بأن مبدأ عدم التناقض يحتوي على التناقض » ؟ وبأي معنى يكون التفكير نفورا ( عدائيا ) من الحكمة بعد أن كان حبا وشغفا وإحاطة ورعاية ؟ .

— سبق لهيجل أن ذكر — عند عرضه لقوانين الجدل — أن الأشياء تتطور من داخلها ، وذلك لما تحمله من طبيعة متناقضة ، وهذا الصراع الداخلي للأضداد الذي يولّد الحركة وبالتالي يحدث التقدّم والتطور : لبلورة هذا البدء والنظر في شمولية صدقه إذا ما تعلق الأمر ببنية الفكر ذاته موضوعيا ونفسيا ، يبدأ ج. دولوز نصّه بقوله : « إنما يعتري الفكر أولا هو الإنكسار والعنف ، هو العدو المقابل ، وليس شئ ما يقضي بأسبقية الفلسفة ( حب الحكمة ) ، فكل شيء ينبثق من نفور الحكمة » .

فهذا « الانطلاق » لا يُقصد به البداية الزمنية للحكمة ، وإنما يُقصد به إنطلاقة التفكير ، إذ ما يسترعي الانتباه في مسار تطور الفكر الإنساني ، وعلى المستوى الموضوعي ، أي على مستوى الملاحظة الخارجية ، أن التطور يمرّ عبر صفتين أساسيتين : « الانكسار والعنف » .

وهذا من شأنه أن ينفي عن الفكر النسقية والتماهي مع الذات ، كما ينفي عنه

الإدعاء بأنه يمكن أن يكون علة للإتفاق والتصالح .

« الإنكسار والعنف » صفتان ملازمتان لكل فكر بالرغم من كونهما ليسا من « ذاته » بل يمثلان ذلك النقيض والآخر ، أي العدو المقابل وهو ما يمكن تسميته « بالتفكير » ( كفعل ) تمييزا له عن الفكر ( كإسم صفة ) .

والفكر إذا كان يقوم على الحفظ والنسقية والانتظام والتوافق والإدعاء المشوب بالصلف والكبرياء بأنه الحق المطلق ، هو فكر يدعي الوعي بالموضوعات وهو غير واع بذاته ، بالإضافة إلى أنه يقضي على غيرية الآخر ، وهو عاجز عن أن يفكر فيه كمختلف ، وهيجل - وإن كان من رواد الباحثين في هذه المسألة إلا أنه - لم يذهب بالاختلاف إلى أبعد مدى ، لأن الذات في الجدل الهيجلي لا تغترب عن ذاتها إلا لتسترجعها من جديد ولا لتتقدما إلا لتتملكها في إطار أوسع .

لخلقة هذه الذات وهز وحدتها ، يحاول معظم المفكرين المعاصرين أن يفكروا في الهوية خارج منطق الميتافيزيقا .

إن « الاختلاف » الهيجلي ، عندما يُقذف به داخل حركة الجدل ، يصبح مجرد لحظة ، من لحظات الهوية الحقة ، التي هي عبارة عن تطابق الهوية مع الاختلاف . التجاوز الهيجلي يتم بحدافه داخل الخطاب المغلق وداخل النسق ، فكل تعيين ينتفي وليحتفظ به في تعيين آخر . إن هذا التناقض يفهم في أفق هوية يسعى الجدل إلى صيانتها وحفظها في حدود الفكر المطلق .

أما الاختلاف الذي يدعو إليه الفكر المعاصر فهو يؤسس التعارض ذاته ، وهو لا يكشف عن سيرورة لجدل يكتمل في الهوية والوحدة ، وإنما هو يُقيم الاختلاف في الهوية ذاتها إقامة دائمة . وهذا معنى التمييز الذي يقيمه ج . دولوز بين الفكر والتفكير : فالتفكير هو ذلك السلب الذي يسكن الفكر فيحوّله إلى آخر كاللقاء الذي يسكن الزهرة فيحوّلها إلى ثمرة . والفكر لا يتحوّل من صورة إلى أخرى إلا بعد أن يخرج عن شكله السابق بعنف . فماذا يقصد دولوز « بالإنكسار » ؟ وكيف يكون الخروج عنيفا ؟ .

الإنكسار يفيد الانحراف الفجائي عن الخط المستقيم ، والابتعاد عنه في خط مستقيم آخر ، أي إحداث قطيعة مع المسار العادي والمألوف والمتسق مع الفكر

الموجود أي الحكمة المتعارف عليها . فعملية التحول والتغيير هذه هي التي نعبر عنها بالتفكير لترمز إلى عملية تخصيص الفكر وبعث الحياة فيه .

فهل أن الفلسفة التي توجد نتيجة تفكير تكون خالية من التفكير ؟ ، للإجابة عن هذا السؤال لابد في الأول من التمييز بين حكمة سابقة وحكمة لاحقة . والتفكير ما هو في البداية سوى تعبير عن عملية الانحراف عن هذه الحكمة السابقة ، أي أنه يخرج عن أصولها ويناقضها أو يخالفها ، وهذه العملية نفسها ستؤدي إلى وضع أسس الحكمة اللاحقة ، فلو أردنا تعريف التفكير ، بالنظر إلى ما سبق ذكره ، لقلنا إنه « اللأ - فلسفة » الواقعة بين فلسفتين ، الأولى سابقة والثانية لاحقة : فالتفكير هو انحراف « عنيف » عن العقائد في أي شكل يظهر به ، سواء كان خروجاً عن البدائية والطبيعة إلى الأسطورة أو عن الأسطورة إلى الفلسفة الطبيعية أو عن هذه إلى المثالية ...

فسقراط الذي ابتدأ سفسطائياً في فكره ، قد انحرف عن المدرسة السفسطائية وسعى لتقويضها بكل قوة وعنفة . وأفلاطون التلميذ الأمين لسقراط لم تعجبه فلسفة الشوارع والمذنب والحوار المباشر مع الخصوم قائماً أكاديمية وجعل للفلسفة محورا نظريا مثاليا يقوم على فكرة « المثل » وأرسطو انتقد هذه النظرية المثالية وأرسى دعائم الصورة المنطقية ، والمتكلمون من الأشاعرة وغيرهم انتقدوا المنطق الأرسطي والميتافيزيقا وساهموا في تأسيس النظرية الإسمية والمدرسة النقدية والشكية ، وديكارت أراد الحد من انتشار هذه النزعة في انتقاد الجواهر والماهيات ، فاقترع من خلال الكوجيتو بثبات الصلة بين الفكر والوجود . وكانط عارض الأنطولوجيا الديكارتية التي أراد أن يؤسس عليها العلم وهوى بصرح الميتافيزيقا المتداعي بفعل ضربات المتكلمين الإسلاميين . أمّا هيجل فقد انتقد كانط في المنهج والمقولات ، وثنائياً « الظاهرة » ، والشئ في ذاته » ، وأقر بأننا لا نعرف من الوجود إلا ما هو عقلي وكلي . وماركس عارض ميتالية هيجل وأراد أن يؤسس المعرفة على الحركة والفعل . وأصحاب مدرسة فرنكفورت وشيكاغو وغيرهم من الفلاسفة المعاصرين قد انتقدوا الماركسية ودعوا إلى فلسفة إنسانية تعيد للإنسان قيمته وتخلصه من الزرية الماركسية ...



وإذا كان الفكر في القديم يشكو من كثرة المعارف المسلّم بها وقلة النزعات النقدية ، فإن الفكر المعاصر أضحى يشكو من تضخم النزعات النقدية والتقلص المتراجع و « المتسارع » للمعارف ، وكأن مطرقة نيتشة التي أخذ بها المفكرون أوْشكت على أن تحطم كل شيء لتتحطم في النهاية ..

يظهر جليا من خلال هذه الأمثلة المذكورة ، أن التفكير لا يعبر عن الانكسار فقط ، بل هو عنيف مغامر ، وليس هو بالدرع الذي تختفي وراءه الفلسفات « فلا نعوّل على الفكر كي نرسي الضرورة النسبية لما يفكر فيه » ، لأنه ليس أداة تبرير للمعارف الجاهزة والمتكوّنة ، ولا يهتم بتدعيم الأساس المنطقي والبرهاني لها ، فهو ليس « حب حكمة » وإنما هو « نفور » عنها وهروب منها ، لا للسقوط في الجهل ، بل بحثا عن التجديد والثراء وتقويضا للمعارف المتحجرة غير المبررة .

وهكذا يصبح التفكير متعاليا على الفكر ومقوّضاً له ، فما التفكير إلا « فعلا وشغفا » ، فعلا سلبيا داخل الفكر ورغبة جامحة في تقويضه ، وبهذا المعنى يكون الفكر متضمنا لفعل التفكير فيه ، وهذا الفعل الانعكاسي والمرتد للفكر يعني التفكير فيما وقع التفكير فيه .

فعلقة التفكير بمادته التي هي الفكر تنقسم بخصوصية فريدة ، فالفكر يحمل في داخله التفكير كأخر ليُطوّر به ذاته .

فمثلا : كانت الفلسفة القديمة ( لأبيقور وديمقريطس ... ) مادية ، لكنها كانت بدائية وساذجة ومفككة ، ولهذا لم تستطع أن تفسّر العلاقة بين العقل والمادة مع أن مثل هذا التفسير ضروري جداً . وقد تكفلت بذلك المثالية مع سقراط وأفلاطون ، وقد وقف أرسطو بصورته موقفا وسطا ، لكن بعد أشواط زمنية طويلة من تطوّر الفلسفة عادت المادية من جديد إلى الظهور ، وهي ليست مجرد إعادة للشكل القديم من المادية ، وإنما قد أضافت إليها خلاصة التراث البشري الفكري والعلمي . وفي الفلسفة المعاصرة يخرج الإنسان من هذه اللعبة الثنائية أي من بين هذين الطرفين : من بين العارف والمعرفة ، والمثالية والمادية ، والذات والموضوع ، ليعي بنفسه كفاعل وكصانع لمادة فكره ، وليعلم في النهاية أنه لا بد من الماء والطين لنحت التمثال .

- نستخلص من ذلك بعض النقاط تحدّد نوعية العلاقة بين التفكير ومادته أو موضوعه :

أ - علاقة التقاء : ويعني ذلك أن التفكير لا يحدث في الفراغ ، بل لابد له من ذلك المختلف الذي يكون موضوع تفكير « وليس هذا الشيء موضوع معرفة تعيد نفسها » ، بل يجب الاحتكاك بشيء جديد يثير حيرة النفس ودهشتها وانشغالها .  
ب - علاقة عرضية : لا يهتم التفكير كثيرا قبل انطلاقة بالمادة التي سيلتقي بها أو التي سينبثق منها ، لأنه سينحرف في كل الأحوال بحثا عن الاختلاف ، وعن التنوع أي رغبة في كسر العادة والسكون ، ف « ربما كان اللقاء يسقراط أو بالشيطان أو بالعبد » ، لا يهم . ولكن في كل حالة من هذه الحالات رغم اختلاف الموضوعات وعرضيتها ، يبقى التفكير ذاته ، هو هو ، خروجا عن المألوف وتجاوزا لموضوعه ، وعنفا وانكسارا . فلا ضرورة فيما نفكر فيه علينا أن « نرفع عاليا ضعيبة التفكير المطلقة » .

ج - علاقة ذرائعية : الفكر ( كموضوع وكماداة ) بالنسبة للتفكير ( ك رغبة ) ( ك رغبة وفعل ) بمثابة الأداة بالنسبة للصانع الذي يصنع بها أداة أخرى ، ثم يطرحها جانباً ، ليستعمل الأداة الجديدة والمختلفة في صنع أداة ثالثة تكون أكثر نجاعة واختلافا ، وهكذا دواليك ..

فالتفكير بمثابة المهندس المعماري البارِع والمطلق الطموح ، لذلك فهو لا يرتاح ولا يطمئن إلى أي بيت يؤويه ، والذي كلما بنى مسكنا ليستقر فيه ، وجد أنه لا يتسع له فرغ في آخر وآخر إلى غير نهاية ...

- يحاول ج . دولوز G.Deleuze معالجة هذه المسألة على المستوى النفسي ، بعد أن عرضها على المستوى الموضوعي ، فيوضح أن الذي يربط بين الذات وعملية التفكير هو ذلك العارض من إحساس وشعور ، لأن أي موضوع من موضوعات المعرفة ، « يمكن إدراكه عبر نبزات عاطفية متنوعة من إعجاب أو حُب أو ضغينة أو ألم . لكن ، ومهما كانت النبزة العاطفية ، فليس ممكنا لهذا الشيء الذي نلتقي به أن يُدرك في علمه الأول إلا بالإحساس » . فالإحساسية هي نقطة التقاطع بين الذات والموضوع ، وليس كل موضوع يمكن أن يكون مصدر إحساس ، إذ لابد أن

يحمل شيئاً من الغرابة وبمعنى آخر يجب أن يكون مختلفاً وهكذا يمكن إدراكه إذ  
« ما لا يمكن أن يدرك إلا بالإحساس بشئ إنفعال النفس و ( حيرتها ) أي برغمها  
على أن تطرح مشكلاً ، كما لو كان موضوع اللقاء - أي العلامة - حاملاً لمشكل ،  
أو كان يمثل مشكلاً في حد ذاته » .

فهذا الاندهاش من ظواهر الطبيعة أو من موضوعات المعرفة والفكر وكل ما  
ندركه بالإحساس أولاً وبالعاطفة ثانياً وبالفكر ثالثاً ، هو الدافع الأساسي للبحث .  
وما يميز الاندهاش أنه يتنزل بين الرهبة وطلب المعرفة أو الرغبة في الاستفسار .  
فالإحساس يوفر إمكانية اللقاء الذات بالموضوع ، لأن حالة الدهشة توحد العاطفة  
في صورتها الانفعالية وتحولها إلى انتباه لتعلقه بموضوع الإحساس . فهذا  
الارتباط والاندسداد هو الذي يهيء للعقل فرص التفكير ، ويتجلى ذلك في  
الاستفسار والتساؤل والبحث عن حلول للمسألة أو المشكلة « الكثافة فالفكر ،  
هكذا يوماً بفعل كثافة ما ينبجس لنا الفكر » وهذا تجسيم لقانون التغير من الكم  
إلى الكيف ، عن هذه الكثافة : من موضوعات معرفة وإحساسية ونبرات عاطفية ،  
تلتقي كلها بصورة عرضية ومفاجئة وينشأ التفكير عن هذه العناصر المختلفة شديد  
الاختلاف « فحتى النطلق ، أي الإحساسية في التلاقي مع ما يحمل على  
الإحساس ، لا يقتضي أي ألفة ولا أي مصير محتمل وعلى العكس من ذلك ، فإن ما  
يعرض من لقاء ، وما يفاجئ هو الذي يضمن لزوم ما تحملنا عليه الإحساسية من  
التفكير » .

فإن الذي يتوسط العلاقة بين الإحساسية وموضوع الإحساس ، أي بين الذات  
العارفة والمستكشفة والموضوعات المختلفة التي شددت الانتباه إليها ، هو إنفعال  
النفس وحيرتها ، إذن « ليس صداقة تلك التي تربط الإحساسية بموضوع  
الإحساس » لأنها لم تكن علاقة تماثل ولا علاقة توحيد بين النقيضين ، وإنما هي  
تلتقي بالموضوع المختلف وتبقي على ما فيه من اختلاف ، وهذا يعني أنها تُنذر  
بتغيير أحكام الذات ومواقفها كما أنها تهز ثقتها واطمئنائها وتبعث فيها الحيرة  
والتساؤل وهذا يُنذر بانبعثات التفكير داخل الفكر ذاته ، وهكذا ترتفع « عالياً  
ضرورة التفكير المطلقة » ، ليبقى متواصلاً رغم اختلاف موضوعات الفكر وتباينها

فما كان التفكير في يوم ما صديقا لأحد ، و « يكفي التذير الذي يبلغ المختلف على ما هو ، ويجعله متواصلا مع الاختلاف . فما التذير بصديق » وكفي هنا أن نذكر بالعنف الذي يمارسه التفكير على الأنساق عندما يتناول أسسها بالنقد مما يعني خلخلة النسق ككل وتحطيمه لبناء آخر على أنقاضه .

— وهكذا يكشف الفكر عن نفسه بأنه يقف على أساس من اللاتناسق ومن اللانظام ، وطالما اعتبر الوعي هو المعيار في الكشف عن الحقائق ، وأهم ما يميزه القصديّة بحيث يتجه ( الوعي ) دائما نحو موضوع ما ليعيه ، أي لينتزع منه ذلك المائل والمتسق مع بنيته المنطقية ، ويترك منه كل ما هو مختلف وغير قابل للفهم . يبين ج . دولوز في هذا النص أن الفكر يقوم على الاختلاف . ويترك بالاختلاف . ولقد بين فرويد أن الوعي عرض من الأعراض ، وأن الذات ليست نقطة متفردة وإنما هي بنية معقدة من عناصر مختلفة أشد الاختلاف . ويتساءل ب . ريكور : كيف علي أن أعيد التفكير في مفهوم الوعي وأعيد صياغته حتى يغدو اللاوعي الآخر بالنسبة إليه ؟ . أما ج . لاكان فإنه يبين التنافر في الكوجيتو الديكارتي ، الذي لم يعد يملك حقيقته فضلا عن وجوده : « أفكر حيث لا أوجد ، وأوجد حيث لا أفكر ، أنا لا أوجد حيث أكون لعبة لتفكيرتي ، وإنما أوجد حيث أكون لعبة في يد لا شعوري » ( لاكان )

هكذا يتراءى لنا أن الباب الذي بقي على الفيلسوف أن يدخله ، هو نفس الباب الذي كان يجهد للخروج منه ، هروبا من الغموض ومن اللامعقول ، بحثا عن الوضوح والبداهة والتميز ، وإذا به يجد نفسه في نهاية المطاف غارقا في الشعور بالنفي واللامعنى ، الذي هو نفي للوعي وتركيز لوعي النفي ، تحطيم لمعنى الوعي وتأسيس لوعي اللامعنى أو لمعنى اللاوعي . وبالتالي يظهر الوعي أشد غموضا من اللاوعي كما أقر أفلاطون من قبل بأن الوجود ليس بلّوضح من اللّوجود .

ولكن أليس هذا التفكير الذي وصلت إليه الفلسفة المعاصرة قد بلغ من التسارع بحيث استهلك كل طاقته ، واستنفدت مادته ، فإذا لم تعد لنا عقائد فقيم سنفكر ؟ وإذا لم يعد لنا فكر ، فأي قاعدة هذه التي سينطلق منها التفكير ؟ وإذا أقررنا بأن عملية المعرفة لا يمكن أن تنتهي إلى حقيقة فمن الذي سيجري بعد ذلك على القيام

بعملية شاقة ومتعبة ولكنها بلا جدوى ولا فائدة ؟ .

طاحونة الفكر المعاصر قد طحنت كل الدقيق أو قاربت ، وهي لن تتوقّف قبل أن تتاكل بفرط السرعة وقلة الطحين حتى ينطبق بعضها على بعض فتاكل « الفراغ » ثم تاكل نفسها بنفسها ، حتى يصدق أن نقول كما قال م . ميرلوبونتي « فمعتقداتنا لا تقوم على قيم أو حقائق تلمح بقدر ما تقوم على ما ناباه من رذائل وأخطاء . فنحن لا نحبّ من الأشياء إلاّ قليلها إذا كنّا نبيغض أكثرها . ففكرنا إنما هو فكر تقاعد أو هورجّع القهقري وكلنا يكرّ عن سيئات شبابه » .

إذا كنّا قد اتخذنا من السلب قيمة معرفية وعقيدة لوعينا ، ولم نفتح أمامه سوى باب الشك والرفض ، دون أن نترك فيه موضوعا للشك أو الرفض ، فكيف - إذن - نريد للحركة أن تخرج من المتحرّك (مهما بلغت السرعة) دون أن تُفقد الاثني معا ؟ وإذا أردنا أن نصنع سيارة جميلة وفاخرة تتحرّك بالبنزين ، فعلينا أن نحتمل سواده ، ونكثّر منه بالقدر الذي يحتاجه السير على الطريق ، ولا يجب علينا أن نتعقّف ونظّهر الصلف والاستعلاء حتى لا يُقذف بنا على قارعة الطريق كما قُذف بالماركسية خارج التايخ .

كما لا يجب علينا أن نسنورد النقيض والمختلف ، بل علينا أن نبحث عنه في داخلنا فنحرّكه بعد أن نتأكد أنه منّا وإلينا . فكل شيء يحمل نقيضه في داخله كجزء منه ، وما من فكر إلاّ ويؤدي إلى تفكير يمكن أن تحمله على التقدّم والتطور ، أمّا التفكير الخارجي فإمّا أن يكون مكسبا وأداة تغيد في البناء أولا يكون سوى أداة تهديم . وقد علّمنا التاريخ : أن كل شيء يكون قابلا للتوظيف إذا كانت لك قدرة عليه ، فإذا كان بإرادة غيرك ولا قدرة لك عليه فلا تمسك به ، وإلا كنت من ضحاياها بأو من عملائه . فيجب أن ينبنى التفكير على على إرادة ذاتية وعلى أهداف مستقبلية وعندئذ يمكن التمييز بين اختلاف داخل الهوية واختلاف خارج الهوية ، فليس هناك تفكير في المطلق ، فأى ثمرة هي لشجرة معينة وذات طعم معين ولا ننسى أن هذه الثمرة كانت زهرة وقبل ذلك كانت برعما ولكن قبل كل ذلك كانت بذرة

## مدخل إلى دراسة الجبرية والقدرية

بقلم : الأستاذ خديري الفرشيشي

ليست الفائدة من دراستنا للتراث ، الاقتصار على معرفته ، والوقوف على جوانبه الإيجابية ، وتحليل مذاهبهم ، بل إن وظيفة الباحث المسؤول تتجاوز هذه المراحل إلى ضبط قواعد اختلافهم ، وطرح إشكاليات عصرهم ثم قراءة كل ذلك بعقلية عصرنا ، ونطرح مسائلهم طرحاً متماشياً مع واقعنا فنفتح للسابقين حساباً جارياً في واقع مشاغلتنا .

وفي هذا الإطار حاولت أن أضع مدخلاً لدراسة الفرق الإسلامية ، وأن أطرح إشكاليات أعتقد أنها صالحة لضبط مناهج ذلك الجدل ، واختلاف تلك الرؤى . والغاية الأساسية من هذا كله ، أن نبعث هذه القضايا في ثوب جديد فنتفاعل في تألف مع واقعنا ، فلا نفور بينهما ، ولا صراع بين الماضي والحاضر ، ولكن مجهود يضم إلى مجهود ، وتجارب تلتج أخرى . وأردت أن أجعل هذا المدخل قسمين .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

### 1- مدخل نفسي اجتماعي :

يتعلق هذا العنصر بنفسية المسلمين الذين عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام ولهذا الجيل خصائص تربيوا عليها .

1 ( ) أنهم عاشوا عهد الجاهلية والإسلام .

وكانت فكرة الجبر سائدة في الجاهلية وتمتكنة من نفوسهم وقد ورد ذلك في قوله تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها أباعنا واللّه أمرنا بها ، قل إنّ اللّه لا يأمر بالفحشاء أتقولون على اللّه ما لا تعلمون » (1) .  
– وقد طبعت فكرة الجبر نفوس نوبيها بطابع خاص :  
– الطاعة المطلقة

– تقبل الأوامر والنواهي وإن صاحبها ظلم وعدوان ، ويكفي أن نشير إلى فئة العبيد وهي أكثر الفئات اتساعاً وعدداً ، وهذا دليل على أن جلّ المجتمع الجاهلي كان تحت

قوة الاسياد والأعيان يبيعونه كما أرادوا ، ويأمرونه بما شاؤوا ، فتقبل أوامرهم وتجتنب نواهيهم .

– عدم احترام حقوق الفرد أمام حقوق المجموعة والقبيلة التي تمثل صوت الحكم والحاكم .

وبكلمة واحدة فإن من خصائص هذا النمط الإجتماعي والسياسي - وقد تربى فيه جل المسلمين الأوائل يقتل في الفرد كل إرادة ، وحرية وسؤال ، فضلا عن الإيمان بالإنسان وطاقاته . وينتقل أمرُ هذا الجيل بنفسيته المروضة على الطاعة والتقبل - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عليه السلام يدرك شديد الإدراك ما علق بتلك النفوس من عادات الجاهلية وتقاليدها إلا أنه يكتفي بالقول : إِنَّكَ إِمْرِيءُ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ . وفي الحقيقة إن هذه العبارة ترجع بنا إلى معالم النفس الجاهلية التي لا ترى في الظلم والتقبل عارا وتحدياً ، بل كأنه عملة ذلك العصر . وقد حرص عليه السلام على تأسيس القواعد الكبرى للتفسيية الإسلامية فكان التركيز على العقيدة والأخوة ، وبناء الخطوط العريضة للدولة الإسلامية .  
ومن سوء الحظ أن إعادة بناء تركيبة النفس وبنيتها لم ينجز بصفة كاملة ، وذلك لعدة أسباب ولعل أهمها عندي .

أن طبيعة هذه الفترة النبوية قد عملت وإن لك يكن تقصيرا ولا سهوا على تركيز دعائم الرسالة ، وأجلت فلسفة النفس الى العصور الأحق ، فالهم في هذه المرحلة العقيدة ، والعبادات ، مع الايمان الجازم بوجوب إفراغ المسلمين من عادات الجاهلية وإملائهم بقيم دينية ترفع الذات البشرية إلى رفض الظلم ، وعدم الاقتصار على التقبل .

- أن الوحي لم يكتمل فكان عليه السلام يجمع السلط الثلاث : التشريعية ، التنفيذية ، القضائية ، فكان دور المسلمين لا يتجاوز السمع والطاعة ، ولعلمهم استحسنا كل ذلك لأنهم نشؤوا فيه وشبوا عليه .

- إن الرسول عليه السلام قد دعاهم إلى السمع والطاعة وإن تولى أمرهم عبد حبشي ، فبقيت صورة الحاكم عندهم مخيفة لا تناقش ، بل قد يرونها لا تخطئ

أصلاً حتى انتقل هذا الإحساس الى ميلاد الشيعة والإمام المعصوم .  
- نهى الرسول عليه السلام عن كثرة السؤال ، وعلمهم فهموا من هذا النهي عدم محاسبة الحاكم عما يفعل .

- دعوة القرآن وتأكيد السنّة على التسامح الذي اختلط فهمه أحياناً بالتنازل عن الحقوق ، وكثيراً ما تتشابه المصطلحات عند الناس فتنزلق عن معانيها إلى فهم محاور أو معنى قريب .

ويعود الرسول عليه السلام وبقيت نفسية المسلم ، وخصائص تركيبها مشروعا لم يتم إنجازه .

وتأتي مرحلة أبي الصديق ، ولم تعمّر خلافته طويلاً ، فبقيت نظرة المجتمع الاسلامي في الحاكم مرتبطة بالأمر والطاعة ولا سيما أنهم يحملون رواسب ما قبل خمس وعشرين سنة .

وتمرّ خلافة أبي بكر ونفسية المجتمع الإسلامي على حالها ، بل كاني بها تقترب أكثر من طبعها الأول ، تمسكاً بالطاعة وأمر الحاكم وقد آل إلى عمر بن الخطاب وقد عرف شدته ، وعدله وحزمه وغلظته ومن يستطيع ردّ أمره ، ومخالفته ، وقد دامت خلافته اثنتي عشرة سنة ، فكانت هذه الفترة وإن لم يشعر عمر خير فترة روّضت فيها نفوس المسلمين على التّقبّل والخوف من الحاكم حتى أنّ التقوى عندهم تعني طاعة أولي الامر ، والعمل الى الآخرة ، والبحث في العقيدة بنية خالصة .

ولعلّ الصّراع الذي دار بين عليّ ومعاوية كان تجسيداً لطاعة الحاكم وعدم الخروج عن أمره رغم أن القتال كان غير مشروع .

وينتقل أمر المسلمين الى معاوية ، ولاشك أنه لن يجد عناء كبيراً في توجيه الدولة وتحديد وجهة الشعب وهو الداهية والسياسي المحنك ، ولذلك فصل بين تصرّفات الحكام ورأي الشعب ويقول محمد عمارة :

« كان إرجاء الدولة الأمويّة موجهها لمصلحة الطبقة الحاكمة التي تطلب من الجماهير عدم الحكم على عقائد الخلفاء والولاة والعمال وعلى جدارتهم بالسلطة واستحقاقهم للمناصب ، عدم الحكم على هذه الجوانب بمعايير العقيدة كما صورها الإسلام ، وعدم الخوض في جور الحكام وعدلهم وفسقهم وتأجيل ذلك وإرجاءه إلى



يوم الدين» (2) .

فأقل صفة تطلق على رعية معاوية أنها كانت :

– تكبر الحاكم ، تطيع أمره – تخلط التسامح بالذل ولا تسأل الحاكم عما بفعل .

وهكذا خلا الجو لمعاوية برعية لا ولي ولا نصير ، إلى جانب ذلك أنها ممزقة بين قيم الجاهلية الموروثة ومرحلة لا تزال فيها بنية النفس الإسلامية مشروع بناء في طريق الانجاز وقد كتب معاوية لابنه يزيد : يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأسياذ ، وذلت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد ، وإني لا أخشك أن ينازك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قریش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ... (3)

وهكذا اجتمع مكر معاوية بطيبة المسلمين فانجب الرضاء بالواقع ، والقناعة بالقدر المحتم فشب بينهم مولود الجبرية ، وترعرع في نفسياتهم حتى تحكّم في عقولهم وسكنهم من الداخل فسلبهم الإرادة ونزعهم القوة وأقعدهم عن ترميم نواتهم .

وترجم الجهم بن صفوان هذا الجبر فقال <http://Archive>

« إن الإنسان ليس بقدر على فعل ولا يوصف بالاستطاعة ، إنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب الأفعال إليه مجازاً كما ينسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء ، وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيّمت السماء وأمطرت » (4) .

والذي يهمنا من هذا كله أن على أفعال الإنسان سلطاناً سواء كانت سلطة الهيأة أو غير ذلك وخلاصة القول :

إن ظلم الجاهلية ، وطاعة الرسول التي لم يستوعب أبعادها ذلك الجيل ، وشدة عمر التي لم يفهم مراميها المجتمع ومكر معاوية الذي استغلّ طيبة المسلمين ، قد تفاعل كل ذلك ليعطي مجتمعا يؤمن جلةً بالجبرية ، وهي الأصل في تربيته ونشأتهم تقريباً .

وعندما انتهى الأمر إلى هذا الحال رجع المسلمون إلى البحث في فلسفة الإنسان

من حيث :

- المشيئة

- الإرادة

- الحرية

وكان لزاما على المسلمين العودة إلى النصوص القرآنية ،ومن حسن الحظ أن هذه الدراسة كانت من جيل مغاير للجبرية سواء كان من حيث النشأة أو التكوين النفسي ، ذلك أنه ولد في مجتمع إسلامي ، وتربى تربية مخالفة لتربية سابقيه ، فكانت نفسية قريبة من فطرتها التي تأبى الظلم ، وتنفر من الإستسلام لأنها أدركت مقاصد الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الحرية والفعل وهكذا بدأت تبرز ملامح فرقة جديدة ناتجة عن الجبرية ، كاشفة الغطاء عما آلت إليه النفس البشرية من ترد ، وسقوط في السلبية ، والقنوط ، فكانت المعتزلة ، وكانت ثورتها الفكرية الحادة على نظرية الجبر . ولعل طبيعة الاختلاف بين الفرقتين راجعة إلى عدة أسباب اذكر منها :

- الاختلاف في التربية لأن مؤسسي هذه الفرقة قد وادوا في الإسلام ، فتعلموا من مبادئ الحرية ، وحب الفعل والإيمان بالقدرة الإنسانية ولذلك كانت مشيئة الإنسان عندهم بلا حدود ، لأنها مستقلة عن الذات الالهية فلا يمسها جبر ولا يصلها اضطراب .

- طبيعة النص القرآني التي تحتل عدة قراءات ، وتتشكل مع كل عقلية ، وتتلون بلون العصور ولعل ذلك قد شجع الفرق على حرية الفهم ، وحق الاختلاف ولم يخل هذا الفهم وذلك الاختلاف من تأويل تعسفي في بعض الأحيان .

- اختلاف العصرين ، ولا بد أن ذلك سيؤثر في تاريخية المقال ، لارتباط كل فلسفة أو رؤية بظروف نشأتها .

- إيمان المسلمين أن كل اجتهد نسبي ، وأن الحقيقة ليست ملكا للسابقين نون غيرهم ومن هذا المبدأ كان رفضهم للسلطة النموذجية ، واستعمار عقول السلف على الخلف واضحين في تأليفهم ، لأن ذلك عندهم سطو ، ولم يختلفوا في تحريم

السطو و ذم كل ساط على حرية الغير ومشيتته .

وخلاصة القول :

إن اختلاف الرؤيتين يعود أساسا إلى :

- التباين في فلسفة مشيئة الإنسان ، هل أنها تابعة لغيره سواء كان في الأرض أفي السماء . وهو مذهب الجبرية ، أو مستقلة عن كل مشيئة سواء كانت بشرية أو الهية ويقودنا الحديث عن المشيئة الالهية والانسانية إلى مسألة أخرى وستكون المدخل الثاني .

- موضع الإنسان من الذات الالهية :

إن الإيمان من ضروريات النفس البشرية ، ومن مكوناتها الجوهرية حتى تتألف مع الجسد ، وتستقبل الزمن بتوازن واطمئنان وقد صور القرآن في سور كثيرة التلازم اللامشروط بين الدين والنفس ، بل إن علاقتها بالإيمان تتجاوز التلازم إلى الغريزة أو الملازمة ، فلا يمكن تصور إنسان دون إيمان ، اللهم إلا إذا خرج عن فطرته وتنكر لها ، وقد ورد في هذا المعنى قوله تعالى :

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله »  
(5)

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الأرض من بعد موتها ليقولن الله »  
(6) .

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » (7)

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » (8)

« ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » (9)

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن إليه فأنني يؤفكون » (10)

« ... وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » (11)

فكل هذه الآيات ناطقة بالتصاق الدين بالذات البشرية ، وهذا قريب مما ذكره  
إني متطور : " دين : عود - الدين : العادة " (12)

وما سمّي عادة إلا لأنه من طبيعة النفس ، وفطرتها ، ويقول ابن عاشور في تفسير سورة الأعراف : " والاشهاد على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار

والحمل عليه ، وهو هنا الجمل على الإقرار ، وأستعير لحالة معينة تتضمن هذا الإقرار يعلمها الله لاستقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم " (13) إلا أن الإشكالية تتجاوز مسألة الفطرة وقضية الغريزة إلى مشكلة فهم الذات الالهية وتصورها والمعروف أن فكرة الله قد خضعت لتصوّر الإنسان وفلسفته الخاصة ، إذ عبّر عنها بأشكال مختلفة وصوّر متباعدة ولكنها لم تخرج عن دائرة التجسيد والمادة المحسوسة ، فالإله في عقلية الجاهلي على الأقل أو حتى سابقه باستثناء فترات الرسل والأنبياء - مصنوع من الطبيعة ، واقع تحت بصرهم وحواسهم .

والمهم من هذا كله ، أن آلهة الجاهلية على حدّ تعبير أصحابها ، تعبير حسّي عن مشاعر وغرائز ألحت عليهم في الإيمان ففعلوا .

ويلاحظ الدأرس لعلاقة الإنسان بالاله في هذه الفترة أنها كانت في حكم لا علاقة لأنّه لا يملك وسائل مراقبة ، ولا نظار لتسجيل خطاياهم ولذلك كان الفصل بين الاله والإنسان وبعد الذات عن المعبود سببين كافيين لانتشار الفساد ، وتفرّع الإنسان إلى شهوات نفسه في غير خوف ، لأن الاله مسجون في قفص ، أو في بيوت أحكم غلقها

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولقد حرص الإسلام منذ بداية الدعوة على إلغاء هذا الفصل ، والبُعدين الذات الإنسانية والله وعوض جميع ذلك بالقرب من الانسان ، وملازمته له في أي مكان ، وخير دليل على ذلك قوله تعالى " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " (14) .

- وتبدو الآية جوابا واضحا عن تساؤل المسلمين وقتئذ عن موضع الإنسان من الذات الالهية وإلى جانب ذلك فإن الآية تدلّ على مراقبة الله للبشر ، وعلمه المطلق بتصرّقاتهم .

إلا أن الجبريّة وهم الذين عاشوا عهد الجاهلية ، رأوا فيها الاتحاد - البشري الالهي - وترجموا هذا الاتحاد - بالحاق مشيئة الإنسان بمشيئة الله ، وهكذا انتبهوا إلى تجريد الإنسان من كل إرادة وحرية ، فنزلوا به إلى مرتبة الحيوان والجماد ، فخرقوا بذلك رمز الانسان وأهدروا غاية وجوده ومقصد خلقه .

فتفشّى الجبر في نفوس المسلمين وشلّ حركتهم ، وباتوا في حاجة ماسّة إلى

فلسفة جديدة بقراءة مخالفة لرؤية الجبرية ، فكانت القدرية ثم المعتزلة ، وكان القول " بخلق الفعل " ويعني الخلق في جوهره عند المعتزلة الفصل بين مشيئة الله ومشيئة الإنسان .

لذلك يقول أحمد خواجه :

« إن المعتزلة هم أول من جاهر ودافع عن حرية الإنسان وقدرته في وجه القدرة الالهية المطلقة (15)

وذكر بعد ذلك أثناء حديثه عن المعتزلة :

« حاولوا جهدهم إقامة نوع من التوازن والعقلانية بين القدرة الالهية والقدرة الإنسانية دون أن يقدح ذلك بمبدأ العدل الالهي ودون أن ينقص ذلك من حرية القدرة الإنسانية الواضحة للعيان » (16)

وخلاصة مذهب المعتزلة في أفعال الإنسان أنها ضربان :

(1) أفعال اضطرارية - أو قد يسمونها أحيانا - إرادة حتم - لا حرية فيها للإنسان ولا مشيئة كما للون ، والقامة ، والولادة ، والموت وكل ما كان على شاكلة ذلك خارجا عن إرادة الإنسان .

(2) أفعال اختيارية ويسمونها أيضا ، إرادة تفويض ، ويقصدون بها كل الأمور التي فوض الله الأمر فيها للإنسان ، وذلك ما قصدوه بالخلق ، أو بمصطلح أدق : الإحداث - وبناء عما تقدم نرى أن قضية الجبرية والمعتزلة في حقيقتها :

صراع بين جيلين :

- جيل تربى في الجاهلية ، يتخلّص مما علق بذاته من جبر على الفعل وإكراه على العمل وآخر نشأ في الإسلام وتربى على فطرة الشريعة وطبيعتها ، فثار على سلفه ثورة المنهج والشكل ، فلا تسليط عند المعتزلة لعالم الغيب على الإنسان ، وسلوكه بل إنهم أقاموا حداً فاصلا بين الإرادة الالهية والإرادة الإنسانية تنزيها لله عن الظلم ، وتعالى الله عن ذلك .

فالاختلاف بين الفرقتين اختلاف بين عقلية جبرية غيبية ، وعقلية اعتزالية واقعية إنسانية ، فالفعل الإنساني عند الجبرية إيمان ، وعند المعتزلة واقع ، دنيوي ، عبادة ، وحضارة إنسانية .

ولما آل الأمر إلى هذا الاختلاف ، والتضاد بين الرؤيتين ، تبرز اللاشعرية ، لتقرأ النص القرآني قراءة جديدة على ضوء واقعها ، وحضارة عصرها ، وقد قيل إنَّها جبريةٌ مقنَّعةٌ ، وهي تهمةٌ منتشرٌ وحكمٌ من لا طاقة له على البحث ومن لا صبر له على أنات التثبُّت في المصادر وسأفردُها بدراسة خاصة شاء الله %

#### الاحالات:

- (1) الاعراف : 26
- (2) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية : 31 ط 2 ، بيروت 1988
- (3) الطبري : تاريخ الطبري : ج 5 ص 164 بيروت 1987
- (4) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج 1 ، 343 ط لبنان
- (5) العنكبوت : 61
- (6) العنكبوت : 63
- (7) لقمان : 25
- (8) الزمر : 38
- (9) الزخرف : 9
- (10) الزخرف : 87
- (11) الاعراف : 172
- (12) ابن منظور : لسان العرب : ج 3/ 169 <http://Archivebe>
- (13) ابن عاشور : التحرير والتنوير : ج 3 ط تونس 1984

#### الهوامش:

- (1) سورة الاعراف : الآية 26
- (2) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ط 2 بيروت 1988 ص 31
- (3) الطبري : تاريخ الطبري : ج 5 ط بيروت : 1987 ص : 164
- (4) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلامي ج 1 ط لبنان ص 343
- (5) سورة العنكبوت : الآية : 61
- (6) سورة العنكبوت : الآية 63
- (7) سورة لقمان : الآية 25
- (8) الزمر : الآية 38
- (9) الزخرف : الآية 9
- (10) الزخرف : الآية 87
- (11) الاعراف : الآية 172 | (12) ابن منظور: لسان العرب: ج: 3 ط: دار صادر: لبنان ص: 169
- (13) ابن عاشور : التحرير والتنوير : ج 3 ط تونس ص 187
- (14) سورة ق : الآية : 16
- (15) أحمد خواجه : الله والإنسان في التفكير الإسلامي ط بيروت ص 100
- (16) أحمد خواجه : الله والإنسان في التفكير الاسلامي ط بيروت ص 103 .

## الألفاظ الشعبية

### محاولة في التصنيف وإيضاح الخصائص

بقلم : خليفة الخياري

تمثل الألفاظ ركنا هاما من أركان الثقافة الشعبية ذات الأنماط المتعددة من غناء وشعر وقصص ماثورة وأمثال شائعة ... تتداولها العامة بلهجة هي خليط عجيب من العربي الفصحى معدّل الابنية ، والدّخيل بما في ذلك بعض الألفاظ من مخلفات اللسان البربري القديم . ولأسباب غير معلومة تأخرت دراسة هذا الركن مقارنة بالاهتمام المستمر الذي شمل بقية الأركان على تنوع مضامينه وخصوصية دلالاته وانطواء مدوّنته على خصائص حضارية جديدة بالإيضاح وإنّه ليعسر على الباحث في هذا الشأن أن يجد مدوّنة خاصة أو دراسة قيمة متكاملة يمكن الاستناد إليها في عمله . وبالرغم من اهتمامنا بالموضوع منذ عامين لم يشد انتباهنا ما يشفي الغليل ما عدا عمل متواضع هو عبارة عن مقالة مقتضبة تكشف مضمونها والثغرات التي فيها لاحقا (1) بقطع النظر عن المحاولة التي قام بها محمد المرزوقي في إطار دراسته لمختلف أنماط الأدب الشعبي في تونس . (2)

وقد عرفت القواميس مادة ( ل - غ - ز ) على أنها من « لغز اليربوع جحرته وألغزها ، حفرها ملتوية مشكلة على داخلها . ومن المجاز ألغز كلامه أي عمّاه ولم يبيّنه . » (3) أمّا التعبيرات العامية المرادفة لهذا المعنى فمختلفة باختلاف اللهجات . ذكر منها محمد السيد عيد ثلاثة ألفاظ : الفرزوة : وهي مشتقة من فرز الثوب أي لظهار ما وراءه . والحزر = أي تقدير الشيء بالتخمين . ثم الاحجية ومن معانيها الظن الذي لا يصل إلى اليقين وما نلاحظه أنّ الباحث قد اكتفى بالألفاظ المتداولة في الشرق ، واختصر تعريف الاحجية اختصارا شديدا . فمعنى الاحجية مستمد من مادة ( ح - ج - ي ) من الحجي وهو سداد الرأي وبلاغة القول ، وحاجاه أي تبين

مدى حجاه ومن ماثور أقوال العرب : « أحاجيك ما في يدي وحجيك ما في كمي » وهذا القول هو أصل العبارة التي نراها متداولة في الأوساط الشعبية وبالتحديد في مجامع التلغيز : « على مَنَحْجَاتِك ... » . ونضيف إلى هذه التسميات الثلاث لفظ « الخراف » وهو الأكثر شيوعا في الأرياف التونسية ، ويبدو أن معناه مأخوذ من مادة ( خ ر ف ) واخترف الثمرة أي جناها بعد اكتمال نضجها . وهناك تشابه بين عملية جني الشجرة المثمرة وبلوغ السر في الكلام الملقب .

وقسم محمد السيد الألفاز في دراسته إلى ثلاثة أنواع :

1- اللفز النثري : لم يعرفه وإنما ضرب لذلك أمثلة منها :

« على حجاه جايه من بعيد بالطل والزغريد » والمعني

بذلك المطر يصاحبها الرعد والبرق .

2- اللفز الشعري : ويعني بذلك الابيات الشعرية عامية كانت ام فصيحة والتي

تقوم على اللاتشارة الى لوازم الشيء نون التصريح بذاته .

وعزّز رأيه بنماذج من شعر ابن الفارض ومحمود بيزم

القونسي وغيرهما .

3- اللفز القصصي : ويستمد التسمية من توفر بناء حكايتي يشاكل الاسطورة أو

الخبر التاريخي في الحكايات المتوارثة . واستشهد بقصص أوديب والملك الطاغبي

في نص سوفوكليس ، وما كبث لشكسبير وهاتف المغيب لجمال الغيطاني .

والظاهر أنه يقصد باللفز القصصي الحكايات المتوارثة في الأوساط الشعبية

والمروية بطرق مختلفة لانعدام أصل تاريخي محدد لها مثل أخبار الهلايين الماثورة

في شمال افريقيا وفي المشرق كذلك . لأن النصوص التي استشهد بها نصوص

ثابتة وتنتمي إلى أجناس أدبية محددة ولا علاقة لها بالالفاز إلا من حيث توظيفها

للخبر التاريخي توظيفا فنياً .

وهذا التقسيم لا يخلو من ثغرات ، منها أن القسمين الثاني والثالث خارجان عن

المفاهيم الثلاثة التي تفصح عنها التسميات الشعبية التي أوردها . ثم إن ما يسميه

باللفز النثري هو في الحقيقة شعري ببنيتة الايقاعية الواضحة . ومن نقائص هذا

التقسيم أيضا عدول الباحث عن التعامل مع اللفز في حد ذاته وإسقاطه المفهوم



الفصيح للألفاظ أو بالأحرى للتلفيز وهي ظاهرة بلاغية محض من شأنها أن تحول دون تبين التصانيف الداخلية لهذه اللعبة أفكرية ، ودون استشراف خصائصها الفنية والمعرفية وارتباطها الوثيق بالهجات العامية وينمط عيش له مميزاته الخاصة . لذلك نراه يكتفي في العنصر الختامي باعتبار الألفاظ مظهرا من مظاهر اعتداد الإنسان بأبطال مجتمعه ، وشكلا من أشكال التسلية في مرحلة من التاريخ تكاد تنعدم فيها وسائل الترفيه ... وهي محاولة استنتاجية قيمة لكنها غير دقيقة وتحتاج إلى مزيد التوسع والدعم لأنه لا يستقيم المنهج والسبيل دون ثبوت الشاهد والدليل . وننتقل في محاولتنا من أبسط تعريفات اللفز وهو الكلام الذي يعني موصوفا محددا ، بطريقة مجازية قوامها الاكتفاء بذكر الصفات المميزة للشيء ، قياسا بمدى قدرة المتقبل على معرفة الموصوف بالاستعانة بمعارفه العامة والخاصة ... وتقديرا لمدى فطنته ونباهته . ونستند في ذلك إلى مدونة من الألفاظ المتداولة في الأرياف التونسية تبلغ الألف لفظ (4) وجدناها كافية لاثبات فرضية أولى هي أن الألفاظ مهما تنوعت ، تحافظ على بنية واحدة يجمع بعض الاختلافات فيها أسلوب معين يساعد على تبين أصولها . ويتفحص هذه البنية ومقومات ذلك الأسلوب يمكن اكتشاف جملة من التصنيفات يمكن أن يبوب في جداولها أي لفظ سواء أكان قديما متوارثا أم جديدا مستحدثا ، لأن هذه التصنيفات مستخلصة من المعايير الثابتة لما هو متداول من الألفاظ أولا . ثم لأن هذا العدد أفصح من تطور خفي تضمه الألفاظ مواكب للتطورات الطارئة على المجتمع .

فالمعامل مع اللفز الشعبي باعتباره نصا أو قصة مقتضبة جدا بقطع النظر عن مضمونه ، يلاحظ أن بنية اللفز تمثل امتدادا لبنى الأغاني الشعبية بنغمها الإيقاعي وكثافة قوافيها التي تشبه ظاهرة التصريع المتكرر في الأراجيز العربية القديمة 5. إضافة إلى الاقتضاب والإيقاع والتقفية تغلب على مستهل الألفاظ ألفاظ أو حروف متواترة يمكن من خلال اثباتها تصنيف الألفاظ تصنيفا بنويا . فاللفز إما أن يبتدىء باسم أو فعل بحيث يكون ذا أسلوب قصصي يسعى إلى الإخبار عن حدث في أدنى ما يمكن من الجمل . وإما أن يبدأ بحرف معلوم هو ( علي أو على ) (6) وهو الأشد غموضا والأكثر شيوعا وقائم على مفارقة خارقة لما هو مألوف وما

هو منطقي . وإمّا أن يكتسي صبغة حجاجية فيها نوع من الاستفزاز للمتلقّي من قبيل : « كَانَك قَارِي وَفَهِيمٌ ... » وإمّا أن يُروى على لسان شخصية مجهولة الأصل تحمل اسم « عبد الصّمد » واعتمادا على هذه الظواهر الأربعة يمكن تصنيف الألفاظ بنويّا إلى صنفين :

1 - أَلْفَازٌ خَبَرِيَّةٌ : وهذه الألفاظ تنقسم بدورها إلى قسمين من حيث بنيتها السردية أ - قسم سردي مسند افتراضيا وغامض الموضوع ومثله : « عبد الصّمد قال كلمات واصنّتوا يا شهودي ، الأنثى مسلمة والذكر يهودي »  
ب - قسم سردي مسند افتراضيا وغامض الموضوع ومثله : « جَانَا ضَيْفٌ وَذِبْحَنَالُوْ عَلُوْشٍ مِنَ الْغَلَمِ ، كَانْ كُلاَهُ قَبْلُ الْعَصْرِ حَلَالٌ وَكَانْ كُلاَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ حَرْمٌ »

2- أَلْفَازٌ إِنْشَائِيَّةٌ : تقوم على مباغطة المتلقّي بأوصاف محدودة جداً ، اختبار لمدى حجاه وتوسّع معارفه وهي قسمان أيضا :

أ - قسم ايمائي تنهض فيه الجملة الواحدة بدور الملخص لأهمّ العلامات المميزة لموضوع اللغز ، ومثله : « على همّ في همّ قديده تكرر في عظم »  
<http://Archivage.net/Archivage>

ب - والقسم الثاني ايمائي لكن الجملة الواحدة المختصرة لمميزات الموصوف تكون مسبقة بها يشبه جملة الشرط التي تلخص الامكانية الوحيدة التي تسمح للمتلقّي بالاجابة .

ومثله : « كَانَك قَارِي وَفَهِيمٌ وَتَقْرَأُ حُرُوفَ السُّطُرِ أَنْيِينِي عَلَى أَنْثَى خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ ذَكَرٍ . » ( 8 )

فاللغز الخبري مقطعيّ البنية أمّا اللغز الانشائي فهو يختصّ ببنية الجملة - النواة بالمفهوم اللساني الحديث . ( 9 ) ولا يخرج عن هذين التصنيفين بأقسامها الداخلية أي لغز من المدونة المعتمدة .

وقد استنتجنا من الحلول المصاحبة للألفاظ إمكانية ثانية للتصنيف . ذلك أنه تبين لنا أن مجموع الحلول باعتبارها دوالاً لا تخرج دلالاتها عن الحقول المعرفية التي هي في متناول الذاكرة الشعبية ووثيقة الصلة بنمط العيش في البوادي ، تبين لنا

أنه يمكن انطلاقاً منها تصنيف الألفاظ حسب مصادر المعرفة الى ثلاثة أصناف أ-  
ألفاظ ذات مصادر دينية :

وأغلبها مستلهم من القصص الوارد في القرآن الكريم . وفي مرتبة ثانية من  
الشعائر الدينية التي أقرتها الشريعة الاسلامية .  
فمن القصص القرآني نذكر أربعة نماذج :

أ - عليّ فعل وندم ، نادم ندمة شطاره

هبطوله فرسان سود وروّه ستراف عاره

وحلّ الغز قصة قابيل وهابيل والغارين المرسلين في القرآن

ب - علي اسمه بالجيم والقاف بين يديه

وصكّ القاف للميم ورجع على تواليه

والمعنى بذلك جبرائيل والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم

ج - على زوز بنات كل وحده جت من فيّة

بعدما دخل الضيف سكرؤا التثنية .

يلخص هذا اللفظ قصة الضامة والعنكبوت والغار الذي لجأ إليه الرسول في

طريقه إلى المدينة . <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

د - على أنثى ضربت ذكر ، ضربات ضربه عظيمه

تلقت ليها وضحك ، ونسى الضحك ديمه

وموضوع اللفز عصا موسى التي ضرب بها البحر فانفلق .

ومن الألفاظ المستمدة من الشعائر الاسلامية نورد مثلين اثنين :

أ - على زوز ضيوف ملاح ، واحد يخدم حلواني والثاني قبّاض أرواح .

والضيفان هما عيد الفطر وعيد الإضحى

ب - على صور مبني مختم والناس اللّي بنوه راحوا

في النهار باب مسكر وفي الليل يصلق سلاحه : شهر رمضان

والملاحظ أنّ هذا الصنف من الألفاظ المستوحى من القصص القرآني لا يرد أبداً

على لسان عبد الصمد لأنّه ثابت المصدر مقدّس لا ينبغي التصرّف في سنده . في

حين يسند اللفز الشعائري إلى هذه الشخصية المفترضة ولكن بنسبة محدودة جداً

( لا يتعدى 30 من مجموع الألفاظ ذات المصادر الدينية ) .

## 2 - أَلْفَاظ ذات مصادر طبيعية :

وهي خلاصة تأملات الإنسان لذاته ومحيطه والنظام الكوني الذي هو جزء منه .  
وهي على صلة خفية بالنص القرآني لأنها تعالج معظم الظواهر الطبيعية التي ورد  
ذكرها في القرآن تبينا لعظمة الخالق وحكمته المنبئة في تلك الظواهر . ومنها  
النماذج التالية :

أ - على أُرْبِعِه أخوه متقاد رين

يتكلم واحد يسكتوا لخرين : وجهات الريح الأربع .

ب - على فايزه طَلَّت في راس قومان

سبحان ربِّي نشاها

اللّٰي شافها شاف لمان

لا قبلها ولا وراها : نجمة الصَّبح ( كوكب الزَّهرة ) .

ج - عبد الصَّمَد قال حاح

سَرَّحُوا المعيز

واحبوا المراح : النحل يطرد بالدخان لجني العسل

د - على طير في راسه زوز مناقير

يولد أمه من جنبه وتموت

تخليه صغير : الهلال يكتمل نموّه فيصبح قمرا ثم يعود إلى شكله

السابق .

ويبدو هذا الصنف من الألفاظ أبسط في أسلوبه ويقوم على إيجاد المشبهات  
المألوفة والعناصر الطبيعية الماثلة للمقصود باللفظ ، من المحيط الضيق ومجرى  
الحياة اليومية ( الماعز ، الطير ، الضيف وبالخصوص الانثى بشتى تسمياتها  
ومختلف صفاتها ) .

## 3 - أَلْفَاظ ذات مصادر صناعية :

ويركس هذا الصنف فعل الانسان في الطبيعة ويعني بما هو تحويلي مصدره  
الطبيعة وتمّ توظيفه من طرف الانسان تيسيرا لأسباب عيشه . ومن شأن ذلك أن

يجعل هذا الصنف نتيجة لسابقه . وبذلك تصبح التصنيفات الثلاثة مترتبة عن بعضها البعض ، وتوزع بتطور تاريخي خفيّ مرّ به الفكر الانساني : ( خلق : نشأة : فعل ) أو بعبارة أخرى اشدّ التصاقا بمنطق التطور الفكري : ( تسليم : تأمل : ابتكار ) وهي المراحل الكبرى التي قطعتها حضارة الانسان . ومن الألفاظ ذات المصدر الصناعي ما يلي :

أ - عليّ اسمه بالفاء وعند النَّاس العلماء

ساقية في الماء ورأسه في جهنّم : الفتيلة المستعملة سابقا للإنارة .

ب - عليّ سنّه على شط البحر

واحد خلف الجرّه

وخمسه ما خلّفوش الأثر : أصابع اليد والقلم أثناء الكتابة

ج - عليّ وليد مزبان فيد طفله صبيّة

ضربات يمين وشمال

هبطت دموعه سخية : الغريبال

د - عليّ صنعته بيديّ وعطيتّه ما نجب

لايينا تنّا محبة ولا بيناتنا نسيب : القبر

وفي هذا الصنف أيضا إلحاح على تأصيل الطارئ على الطبيعة ومحاولة لتطبيعها بنزع كل صفاته المستحدثة وإلباسه صفات هي عناصر تشبيه مألوفة في محيط الانسان وطبيعية فالكتابة تستمد مشبهاتها من آثار الأقدام على الرّمل ، والغريبال يصبح طفلا بهيّ الطلعة في حضن صبية ( والصّبية في العامية تعني الفتاة البكر ) والقبر وإن كان من صنع الانسان يعطيه هذا الأخير احبّ الناس إليه لكأنّ بين الصانع والمصنوع صلة مودّة أو مصاهرة .

واللغز الرابع في الصنف الثالث من هذه الامكانية الثانية يحيلنا على ظاهرة مشهودة في مجالس التلفزيون هي بمثابة المحاولة الساذجة لتصنيف الالغاز إلاّ أنّه لا يمكن أن نعتدّ بها . فالملتقي عندما يستعصي عليه الحلّ يطلب مساعدة من صاحب اللّغز ، ما إذا كان الحلّ خلقه أم صنعه : ( خليفه وإلّا صنيعه ) . وأهمّ نقيصة في هذا التقسيم انه لا يشمل كل الالغاز ولا يحلّ معظلة الالغاز ذات المصادر المشتركة

التي تجمع الخلق والصنع معا ، مثل لغز العنب والخمر الذي بيّناه سابقا ، ونسبة  
نظائره في موبتتنا مثلك 19٪

إن التصنيف لا يمثل غاية وإنما هو مرحلة منهجية لا بدّ من قطعها ليتيسر عمل  
المؤنق للمأثورات الشعبية ، ثم ليتمكن الدارس بعدئذ من تفحص المادة منظّمة ،  
مبوبة في أطار ما يسميه دارسوا الاجتماع الانساني بالثقافة البدائية ، والتي تنفرد  
فيها الالغاز بميزة معرفية تتمثل في نهوضها بالجانب الفكري من تلك الثقافة ، أي  
الجانب الذي يحلّ فيه التدبّر المنطقي للكلام محلّ التعامل الانفعالي الذي يتّسم به  
عادة السلوك التواصللي البدوي . فإذا اعتبرنا الالغاز مجرد وسيلة من وسائل  
الترفيه نكون قد تسعّنا على قيم هذه الظاهرة ، لأنّ وسائل الترفيه في الأوساط  
الشعبية لا تقوم على الاجهاد الفكري ، ولا تقتضي معرفة بهذا القدر من الثراء  
والتنوع . هذه القيم لا يمكن الأحاطة بكل جوانبها ، لذلك نحاول اختصارها في  
اربعة عناصر هي ادنى ما يمكن تبيانها منها :

### 1- القيم التاريخية :

تؤرخ الالغاز لحقبة من تطوّر المجتمعات كان فيها الاجتماع الانساني أشدّ  
تماسكا وأكثر تلاحما في إطار نظام قبلي خال من وسائل الترفيه الفردية التي تغزو  
العالم اليوم والتي تكرّس السلوك التواصللي الاستهلاكي الذي يقتل تدريجيا السلوك  
التواصللي المنتج ، أي المولد باستمرار لطرز تواصلية جماعية مستحدثة قد تكون  
الالغاز أرقى أشكالها .

وتؤرخ من ناحية ثانية للتغيير الجوهرى الذي حدث للهجة العامية فتخلت بعد  
الفتح الاسلامي عن لغة البربر ما عدا نسبة قليلة من الألفاظ ، لتحلّ اللغة العربية  
محلّها معدّلة وفق الخصائص اللسانية المحلية . هذه اللهجة اكتسبت نتيجة لتلك  
التغيرات مرونة مكنتها من التوفيق بين ثلاثة ألسن متباعدة هي البربرية ثم اللاتينية  
التي أشاعها الرومان في إطار ما يسمّى بسياسة رومنة شمال افريقيا والتي نجد  
أثارها في اللفز التالي : « عبد الصمد قال ما شي في ثنية ، عرضتني شلية ، ما  
فهمت من البرشني من البرشنية » فالبرشني ( وهو الجدي بالعربية الفصحى )  
لفظ لا تيزي الاصل = PORCINUS ( 10 ) ، ثم لغة العرب التي أصبحت المصدر

الأول التي تتفرّع عنه العاميّة بالتعديل الصوتي لأبنية العربي الفصيح والتعديل الدلالي للمعاني القارّة للألفاظ ... إلى جانب ذلك تفصح الألفاز عن الكيفيّة التي تقبلت بها شعوب المنطقة الاسلام بنواميسه وفرائضه ... إذ نلمس في أساليب الألفاز سعيا من اللهجة العامية لاستيعاب الدين الجديد باقحامه ضمن نسقها الفكري بحيث ينضاف رفدا جديدا لمآثر الشعوب المتقبلة وامتداد تاريخياً للتقلبات المتعاقبة التي شهدتها حياتها .

## 2- القيم المعرفية:

وتمتلك بالتّحديد في ما تؤديه الألفاز من نور تنقيفي بما أنّها اختصار لجملة من المعارف الانسانية المتنوّعة . وما يمكن أن تتيح للفكر من حركيّة واجتهاد هي بالتأكيد وراء كل مظهر من مظاهر تطوير مستوى العيش ، لا سيّما وأنّ الصّبغة الرمزيّة للألفاز ( وتسمّى الحديث بالنّحو عند العامّة ) تثري الزاد اللغوي وتكسبه متانة وعمقا . ويتجلّى خاصة في ما يمكن أن ننظر إليه بلاغياً على أنّه من مظاهر الجنس ( العصر والعصر ) ، وفي ما يبدو للذائقة من ضروب الإيقاع والتقفية .

## 3- القيم الحضارية:

إنّ مجتمعنا يبتكر فيه الانسان العايا فكرية بهذه الدقّة وبهذا التنوع لهو مجتمع متميز لا يمكن نكران تحضره ، لأنّه ليس من الهين في حقبة زمنية من تاريخيا شبه خالية من وسائل التعليم وأنوات التثقيف أن يتجمّع مثل هذا الركّام العجيب من هذه اللعبة الفكرية التي تشترط ذاكرة قوية ودقة ملاحظة ... ناهيك عن الأصناف الأخرى من المآثورات الموازية لها ، والتي تعكس في مجملها أثر التغيرات الاجتماعية في البناء الحضاري وأثر التداخل الحضاري في ضروب التدبير والتفكير الديني يعكس طوارئ الحياة العقديّة . واللّغز الطبيعي يكشف حالة الانبهار التي لازمت قصور الفكر الانساني أمام بيئة قاسية هو ملزم بالعيش فيها . واللّغز الصناعي هو ثمرة جهود بذلها الإنسان لتليين تلك الحدة وبداية هيمنة الطبيعة الحيّة فيه على الطبيعة الجامدة من حوله .

## 4- القيم الاجتماعية:

تصرّح الألفاز بسمات الوسط الذي ترعرعت فيه وهو وسط ريفي بصفة عامة

وزراعي رعوي بالتدقيق حسب المعطيات التي توفرت في مدونتنا . ففيها يقع توظيف جملة من التقاليد والأعراف الاجتماعية : ( الضيافة ، تزيين العرائس ، تباريح العشق ، الصيد ، ركوب الخيل ... ) وقد توظف الألفاز معطى جغرافياً دقيقاً من خلاله يمكن معرفة الجهة التي ظهر فيها اللفز ومن ثم التعرف إلى خصائصها الاجتماعية كما نجد في هذا اللفز : « على كسرة بلاطيات وبرق بلا سحب وسرج وسرج بلا ركاب » (11) الذي يشير إلى مناطق جبلية من ولاية سليانة معروفة بآثارها التي تعود إلى العهد الروماني، وباحتراف أهاليها الفلاحة وتربية الماشية .

### الخاتمة

تلك بعض القيم التي ساعدنا التصنيف على اثبات شيء منها . وإن هذه المدونة لتظل مصدراً غير تامّ مالم تستكمل بإجراء مسح شامل لكل جهات البلاد ، وتوثيقها التوثيق العلمي الكفيل بجعلها مادة صالحة للتفحص والاستقراء . وليس ذلك بالأمر العسير خاصة وأنّ الألفاز إلى جانب الأمثال الشعبية والأشعار تمثل الجزء الثابت من الأدب الشعبي الذي قد تتغير بعض ألفاظه بتتالي الرواة ... لكنّها تحافظ دائماً على مغنى قارّ تنعدم بانعدامه . على عكس القصص أو الحكايات الشعبية فإنّها لا تنفصل عن خصائصها الشفهية التي تتدخل فيها حركات الراوي وسكّناته ... وإمكانية تعديل بعض الأحداث أو اختصارها أو تعطيلها حسب ما يقتضي المقام ... وهو ما جعل الدارسون يعتبرونها الجانب الحركي أو بعبارة أدقّ القابل للتحوّل بتغير الأزمنة والأطر . حتّى أن عدم ثباتها أصبح سمة اسلوبية من سماتها . إضلفة إلى ذلك فإنّ التجربة التي اثبتت قابلية الأمثال العامة للتصنيف (12) تنسحب كذلك على الألفاز بحيث تصبح مجامع الألفاز صنواً لمجامع الأمثال تحفظها من التلف والنسيان ، وتجهزها لتكون معينا آخر لعلماء الاجتماع ، وعلماء العادات والتقاليد والأديان وغيرهم ... على غرار ما شهدته المجتمعات الأروبية التي لم تنقطع رغم ما بلغته من تطوّر تقني ومعرفي ، عن الجمع وتفحص التحولات الاجتماعية من خلال أدق أشكال التواصل ، وعقد الندوات ومنح التشجيعات للمهتمين بالأدب الشفهي وتوفير الفضاءات العلمية لاستثمار حصيلة جهودهم وتمكين الأجيال الناشئة من خلاصة ثقافة الأحقاب الماضية .



## \* الهوامش :

- 1- محمد السيد عيد : الألفاظ في التراث العربي ( ج 1 ) - مجلة الفيصل عدد 206 - جانفي / فيفري 1994 - ص 91
- 2 - حاول محمد المزوقي تصنيف الألفاظ ودراسة خصائصها ، لكنه لم يتوسع كثيرا بل اكتفى بالنظر إليها نظرة المصور وهو يرسم مجلسا من مجالس السمر - انظر : الأدب الشعبي في تونس ( طبعة محدودة ) - دار التونسية للنشر 1967 .
- 3- اعتمدنا الشرح الوارد في أساسه البلاغة للزمخشري ( دار صادر - بيروت 1979 ) لأنه يتوسع في تفسير المادة الاشتقاقية حتى يبلغ معانيها المجازية .
- 4- نشكر كل من ساعدنا على تجميع هذا الكم من الألفاظ ونخص بالذكر حسين الخياري ، جميلة الهدياوي ، الجازية الوسلاطي ، فوزية العياري وحبيبة الحفناوي لاشتغالهم بالبحث في أوساط اجتماعية متنوعة وتبويب المادة وفق جداول دقيقة مددناهم بها .
- 5- لمراجعة الخصائص الفنية للأراجيز يمكن مراجعة بحث خصصنا به هذا النمط الشعري نشرته مجلة الإتحاف عدد 22 جانفي 1990 ص 22 .
- 6- وهي صيغة تعبيرية عامية معناها : « أحدثك عن ... »
- 7- اللفظ الأول يقصد به يوم الجمعة المقدس عند المسلمين ، ويوم السبت المقدس عند اليهود . أما اللفظ الثاني فقيه تلاعب بالألفاظ بحيث يشترط التوصل إلى حلّ معرفة الجناس القائم بين العصر وهو من مواقيت الصلاة والعصر من عصر يعصر . والمعنى الثاني هو المقصود إشارة للعب المحلل والمحرم اعتصار الخمر منه .
- 8- في اللفظ الأول إيماء إلى صفات الخلّون من حيث صغر حجمه وسرعة انكماشه ولونه الشبيه باللحم المجفف وزحفه وهو يجزّ القوقعة خلفه ، وفي الثاني حاجة بين الباث والمتقبل ونوع من المحاوره فيها استفزاز للمتلقى تحفيزا لهمة على ضرورة التوصل إلى الحل . وهو العبارة القرآنية : « ليلة القدر خير من ألف شهر »
- 9- تعرّف الجملة النواة في اللسانيات البنيوية بأنها الجملة الصريحة والفاعلة والمحيلة ، مختصرة في مكوناتها الأولية ، يراجع في ذلك : ( 1973 ) - dictionnaire de linguistique ed Larousse page 378
- أما المقطع فنستعمله بمعنى مجموعة الجمل النواة تستقلّ في نصّ سردي بفكرة واحدة يمكن تلخيصها في عنوان يختصرها شريطة أن يشمل كل مكوناتها ، والمقطع في الدراسة البنيوية تجريبي لا يمكن تحديده بمفهومه بصفة ثابتة .
- 10 - في الألفاظ التي جمعناها عدد كبير من الألفاظ الأممية من أصول معروفة في لهجتنا العامية أهمها البربرية والتلّينية وحلّ اللفظ المذكور : فراخ السجاج لا يمكن التفريق بين الذكر منها والأنثى في المرحلة الأولى من نموّها .
- 11- المعنى بكسرة منطقة كسرى من ولاية سليانة وهو تحريف لاسمها الروماني chisura الكسرة هي الخبز بالعامية التونسية، ومعناها الفصيح النزر القليل من الخبز .

# تطور مناهج النقد الأدبي في أوروبا

## بداية من القرن التاسع عشر

بقلم : محمد نبيل الفرادي

كانت قضية النقد الأدبي ودراسة النصوص والابداعات الأدبية ، قضية تحظى بعناية المفكرين والمهتمين قديما وحديثا ، ذلك أن النقد الأدبي يؤدي وظيفة أساسية يمكن اعتبارها من صميم العملية الإبداعية وجزءا لا يتجزأ ولا ينفصل عنها ، غير أن النقد يعتبر كذلك من المسائل الصعبة والشائكة ، يصعب الخوض في غمارها نظرا لتشعب الطرق والمسالك التي يتوخاها النقاد لدراسة الظواهر الأدبية .

ولئن كانت غاية النقاد تختلف من عصر إلى آخر وتختلف حسب الاتجاهات النقدية ، فإن ما يطمح إليه أغلب الدارسين قديما وحديثا ، هو الخلوص إلى أعماق النصوص الأدبية واستكناه محتوياتها بأكثر ما يمكن من الانصاف والموضوعية وقد تبين من الاتجاهات النقدية التقليدية أنها تعتمد في أغلبها على مقاييس ومناهج نقدية معيارية تولي الأحكام الانطباعية والنوقية مكانة مرموقة وهو ما تجاوزته الاتجاهات النقدية الحديثة ، كما تجاوزت المناهج النفسانية ، الاجتماعية ، الفلسفية ... ) التي تتعالى عن دراسة الظاهرة الأدبية بأسقاط مفاهيم خارجة عن نطاق النص الأدبي ذاته . إن هذه التحولات الطارئة في مجال النقد الأدبي قديما وحديثا لم تكن وليدة الصدفة ولا حصلت بطريقة مباغتة وفجئية ، بل جاءت نتيجة تحول في الثوابت وتغير في المفاهيم بدأت تبرز عند الغرب بسبب التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية منذ مطلع القرن التاسع عشر .

وسوف ندرس تطور المناهج النقدية الغربية بتتبع التسلسل الزمني والتاريخي الذي ظهرت في مختلف مراحلها المتعاقبة مناهج نقدية تقليدية وأخرى حديثة ، ولا يجب أن يعتقد البعض بأن مجرد التتبع التاريخي لظهور هذه المناهج النقدية وذكر أهم

خصائصها أمراً هيئاً نظراً لصعوبة الفصل بين هذه المناهج أن في مستوى التعاقب الزمني أو في مستوى المفاهيم المشتركة التي قد تجمع بين بعضها . وسوف نبدأ بتتبع تاريخية ظهور المناهج النقدية الغربية بما أحدثته الثورات البرجوازية في أوروبا من هزات عنيفة غيرت من نمط الحياة والتفكير الأوروبيين . وقد بدأت هذه التغيرات تحدث منذ مطلع القرن التاسع عشر . فكان من مظاهر هذا التأثير أن ظهرت مفاهيم وتصورات جديدة للإنسان والعالم وكان لها التأثير العميق في مجالات البحث العلمية المتنوعة ، بل وتركزت هذه التأثيرات خاصة في منهج البحث والتطبيق العلمية .

فاستبعدت نتيجة لذلك النظرة الميتافيزيقية المتعالية ووقع التخلي عنها لصالح النظرة الموضوعية التي تجلت خاصة في مناهج البحث الفلسفية التي اعتمدت مبدأ جديداً في تفسير الظواهر الطبيعية وهو مبدأ الحتمية . فلم تعد الظواهر الطبيعية تفسر بطرق ميتافيزيقية ، ماورائية ، وإنما صارت الظواهر الطبيعية تفسر تفسيراً سببياً حتمياً ، وارتباط هذه الظواهر فيما بينها يجعلها تتعالق وتتجادل فيما بينها بطريقة متينة يبررها المنطق السببي .

ونتيجة لذلك وقع استبعاد جميع الحلول والنتائج التي تفسر الظواهر الطبيعية تفسيراً غريباً عنها باسقاط مسلمات ميتافيزيقية متعالية مما يؤدي حتماً إلى التوصل إلى نتائج مغلوطة . وفي خضم هذه التغيرات الطارئة على مجال البحث في مختلف الميادين العلمية ظهرت الحركة الرومنطيقية - أو الرومنسية التي ركزت على مفاهيم جديدة للبحث ونذكر في هذا الإطار - مقولة الحرية - باعتبارها السبيل الذي يشرع للفرد في مجال العلوم ، الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية وتمكنه من التخلص من جميع القيود والعوائق التي يمكن أن تعرقل نشاطاته ولعل تركيز الرومنطيقية على الفرد له ما يبرره ، ذلك أن مقولة الحرية تمكنه من اكتساب آليات جديدة للبحث وتفتح أمامه مجالات أرحب في ميادين البحث فيتمكن بالتالي من تخطي القيود المفروضة عليه وينتج ابداعات جديدة ، وقد لاقت الحركة الرومنطيقية من يدعم مسارها ويسند خطواتها في ما ذهبت إليه ونقصد هنا بالتحديد : الاتجاه النفسي أو المدرسة النفسية ، إذ ركزت هي الأخرى على الفرد وحاولت أن تكشف

الأهمية للطبقات الاجتماعية على حساب الفرد وقد أسهم التيار الماركسي بدوره في إثراء مناهج الدراسة الأدبية .

وفي خضم هذه الاتجاهات الأدبية المختلفة ظهر منهج جديد يُعرف بالمنهج التاريخي أو الوضعي ويتفق جميع أعلامه على اعتبار النص الأدبي وثيقة تحيل على صاحبها أو على السياق الاجتماعي الذي أبدعت فيه .

إن تنوع المناهج التي تهتم بدراسة الظاهرة الأدبية واختلافها وتباينها يساهم ولا شك في تنويع النتائج وإثراء الساحة الأدبية بإبداعات مختلفة ولكن المنحى الذي اتخذته هذه المناهج رغم تنوعها لم يمكنها من تجاوز جملة من السلبيات في هذا المجال بالذات إذ أفرز تضخم الإهتمام بالآثر الأدبي من جهة معناه إلى تقليص العناية به من جهة شكله فحصل اختلال في التوازن بين الجانبين تفتن له بعض النقاد الغربيين وحاولوا تغيير اتجاه المناهج القديمة المعروفة إلى دراسة الآثار الأدبية من جهة الشكل . وكان هذا التحول الطارئ مبرراً لظهور اتجاه جديد في مجال دراسة الظاهرة الأدبية وهو الاتجاه الشكلي الذي انبعث من حركة موسكو اللسانية سنة 1950 ومن أشهر أعلامه : جاكوبسون - إيخانبوم - توماشفسكي ،

بروب ، حبرمنسكي ، شلوفسكي ( <http://Archivebet> )

وقد انطلق هذا الاتجاه من نفي ما ذهب إليه أصحاب المنهج الوضعي الذين اعتبروا النص وثيقة تحيل على صاحبها وعلى العصر الذي أبدعت فيه . ونفي ما ذهب إليه الاتجاه الرمزي الذي جمع أصحابه في تناولهم للأدب بين ميولات شتى فلسفية ، تاريخية ، نفسية ... وأهملوا الشكل إهمالا مطلقا .

كما وجدت الشكلانية في الاتجاه المستقبلي futurisme أسندا قويا لأن أصحاب هذا الاتجاه كانوا يريدون خلق لغة شعرية غير عقلية تكتسب فيها الكلمة قيمة في ذاتها لا في المضامين والمعاني التي تحيل عليها .

... ولعل اهتمام الاتجاه المستقبلي باللغة وبأصواتها وتركيبها ، يوحي لنا بصورة أو بأخرى بمجال من مجالات البحث الأدبي الشكلي وهو علوم اللسان الذي مثل بالنسبة للحركة الشكلانية المنطلق الذي درست على منواله مجالات الظاهرة الأدبية عموماً . فكان منهج الشكلانيين قائما على وصف خصائص الكلام

الأدبي من حيث هو أنساق وأنظمة من العلامات اللغوية ، فالشكل مجموعة من العلاقات التي تربط بين عناصر الكلام ومكوناته ، ومن هنا ينشأ ما يسمونه البنية أو النسق ، ويصبح الشكل خاوياً من كل مضمون بل يصبح الشكل هو المضمون يقول ايخانبام في هذا المعنى : « الشكل وحدة ديناميكية لها معنى في ذاتها خارج كل عنصر إضافي ... » ( 1 ) .

إن ظهور الحركة الشكلانية التي تعرف بحركة الشكلانيين الروس تولد عنها تاريخياً ظهور اتجاه جديد في دراسة الظاهرة الأدبية وهو الاتجاه البنيوي . وقد تأثر هذا الأخير بالحركة الشكلانية تأثراً كبيراً وبدا أكثر التصاقاً بمنهج دراسة علوم اللسان مما جعل بعضهم يسميه بـ " البنيوية اللسانية " وسوف نعرف بهذا الاتجاه وبأهم مقوماته ومركزاته كي نتجلى لنا أهم الخصائص التي تميزه عن سائر الاتجاهات الأخرى والتي يشترك معها في جملة من المبادئ والمنطلقات .

فالبنيوية في تعريفها المعجمي " مذهب في العلوم والفلسفة مؤداه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض وقد امتد هذا المذهب إلى علوم اللغة وعلم الأسلوب خاصة ويُعرف أحياناً باسم البنائية والتركيبية " (2)

— structure : la maniere dont les parties d'un tout sont arrangees entre elles .  
— structuralisme n.m , theorie commune a plusieurs sciences humaines , visant a definir un fait humain en fonction d'un ensemble organise et a en rendre compte a l'aide de modeles mathematiques . (3).

من هذين التعريفين العامين والشاملين للبنيوية ننطلق نحو تخصيص أكثر لتعريف المصطلح ، والملاحظ منذ البداية أن قضية تعريف هذا المصطلح كانت وما تزال قضية معقدة يصعب فيها الوصول إلى نتيجة نهائية وشاملة تتفق حولها جميع الآراء ، ذلك أن مجرد ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية مثلاً لم يقع الاتفاق بشأنه فمن المهتمين ، من يستعمل مصطلح " الهيكلية " ونذكر في تونس الأستاذين حسين الواد وتوفيق بكار أو مصطلح " البنائية " عند ريمون طحان أو " البنيوية " كمقابل لمصطلح structuralisme كما استعمله كمال أبو ديب من الجزائر ... وإذا كان

benveniste أرجع أصل مصطلح بنيوية إلى فردينان دي سوسير لأن هذا الأخير وإن لم يستعمل نفس العبارة " بنيوية " فإنه استعمل مصطلح نظام بما يطابق مفهوم كلمة structure إذ عرّف اللغة " بأنها نظام من العلامات الاعتبارية وهي نظام من جهة أن العناصر التي تتكوّن منها تتناول من حيث علاقاتها الانية(4) بهذا التعريف للغة ولفهوم النظام برّر benveniste ما ذهب إليه من اعتبار دي سوسير رائد البنيوية الحديثة وقد ذهب يلمسليف إلى نفس ما ذهب إليه دي سوسير تقريبا إذ اعتبر الدراسة العلمية الحقيقية للكلام ترتكز أساسا على وصف الكلام باعتباره وحدة مستقلة تتكوّن من نظام علاقات داخلية متماسكة عبّر عنها بكلمة " بنية " إن جميع المكونات الداخلية للكلام تتعالق وتتجادل فيما بينها في إطار ترابط معيّن .

إن دي سوسير ويلمسليف يتفقان تقريبا حول المفهوم الأساسي لمصطلح البنية وإن لم يكن استعمال دي سوسير صريحا لكلمة بنية structure .. والبحث في أصل استعمال مصطلح " البنية " لا يجب أن ينسبنا تساؤل البعض حول مشروعية وجود مذهب أو طريقة بنيوية؟؟  
http://Archivebeta.Sakhril.com  
فالبحت في أصل استعمال المصطلح يعدّ ركيزة أساسية تسبق طرح مثل هذا السؤال وقد أشار francois wahl إلى مثل هذه الحيرة فقال : " إن تحديد مفهوم البنيوية يثير الكثير من الإشكالات ... (5) فلماذا ؟

إن هذا المنهج أي البنيوية تبنته العديد من العلوم في طرق بحثها مما جعل تعريفه تعريفا شاملا من أصعب مسائل البحث ويقول francois wahl في هذا الإطار : " ليس من الغريب أن نتساءل مثل هذه التساؤلات وأن نعترينا مثل هذه الحيرة إذا علمنا أن المذهب البنيوي طريقة توخّتها مختلف العلوم في دراسة بنية مادتها ، فلكل مادة - بنيتها وكل علم ينظر في هذه البنية يمكن أن يكون بنيويا وتستوي في ذلك الرياضيات والعلوم الطبيعية بما فيها من كيمياء وطبعية وعلوم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس وعلم الإنسان ، والعلوم اللغوية ... (6) "

إن توخي العلوم المختلفة للطريقة البنيوية كمنهج بحث واعتمادها عليها في التوصل إلى نتائج علمية متنوعة حسب مجالات بحثها - يؤكد بطريقة أو بأخرى جدوى هذه الطريقة وأهميتها في رصد النتائج العلمية ونجاحاتها غير أن ارتباط المذهب البنيوي بالظاهرة اللغوية منذ نشأتها جعله أكثر ارتباطا بهذا المجال فعنه انطلقت الطريقة البنيوية وظهرت إلى الوجود وكنا أشرنا منذ البداية إلى دي سوسير ونوره في تحديد مفهوم هذا المنهج . ولذلك يجوز لنا أن نعرف البنيوية من جهة ارتباطها باللغة والأدب فنقول أن : « البنيوية منهج في تناول الظاهرة اللغوية عامة والأدبية بصفة خاصة باعتبارها شبكة من العلاقات بين العناصر التي تتكون منها .. » (7)

وقد ميزَ البنيويون بين دراسة الجملة النحوية وبين دراسة الخطاب الأدبي وفرقوا تبعا لذلك بين ألسنية اللغة وألسنية الخطاب وعبروا هذا النوع الأخير علما للأدب science de litterature ما يسميه بعضهم بالإنشائية poetique كما توصل الشكلاونيون بنورهم إلى إدراك الفرق بين دراسة الجملة النحوية ودراسة النص الأدبي واستعملوا مفهوم الإنشائية أو علم الأدب كما فهمه البنيويون ، وقد قال إيكسانابوم في هذا الإطار : لقد اعتبرت دائما أننا نعتبر بشكل أساسي أن موضوع علم الأدب يجب أن يكون دراسة الخصائص النوعية للموضوعات الأدبية (8) كما قال جاكوبسون في هذا المعنى معرقا موضوع الإنشائية " إن موضوع علم الأدب ليس الأدب وإنما هو الأدبية "

L'objet de la science de la litterature n'est pas la litterature mais la litteralite " jacobson

وهذا يعني أن دراسة النص الأدبي دراسة إنشائية تقصي كل العوامل الخارجة عنه مثل العوامل : النفسية ، التاريخية ، السياسية ، الفلسفية ، .. والاجتماعية ... وتركز على دراسة علاماته اللغوية الظاهرة دراسة وصفية تقطع مع جميع المناهج القديمة .

هذه إذا أهم المفاصل الكبرى لتطور المناهج القديمة عند الغرب وذكرنا أهم

البقية ص : 95

# صعود القمر

## جدلية الصراع الاجتماعي

بقلم : سليمان البكري

هذه المجموعة القصصية تنتمي إلى واقع اجتماعي في أزمنة مختلفة تأخذ أشكالاً فنية تكون اللغة فيها المعبر الأساس والدور المؤثر لإقامة علاقات إنسانية تحاول ربط السلوك الاجتماعي بالوضعية النفسية لأبطال القصص، فالمجموعة تعالج ظاهرة التهميش السلبي المتعمد من قبل البعض كتعبير سلوكي وطبقي من هنا لا يمكن طرح إشكالية قصصية في المجموعة أو الحديث عن « البطل الإشكالي » فيها أو حتى « البطل المحوري » بمفهومه الكلاسيكي .

فالمجموعة القصصية تحتوي حالة من التشظي الكياني في فضاء اجتماعي تتعدد فيه مصادر النفوذ والتأثير « المرأة - الحرب - المستقبل - البحث عن منقذ »

هذه المحاور المألوفة تختلف النظرة إليها مما يعطي القصص ديناميكية متميزة لمواقف مختلفة من حيث الوجود الاجتماعي والمركزية التي تملك منطلقها الداخلي الخاص وتركيباتها الطبقية والثقافية، جراء هذا تعيش شخصيات القصص حالات مختلفة لكنها واعية لدورها في مواجهة المعطيات الحضارية والإشكالات الاجتماعية لقد أثار التعامل الجماعي في أغلب القصص نوعاً من اضمحلال البطولة الفردية وتحقيق رؤى ذات هموم اجتماعية مشتركة رغم تمتع النماذج القصصية باستقلالية مرجعية تجاه الهموم العامة والكونية مما جعل أبطال القصص يتفلقون على همومهم الذاتية وينتقلون إلى قيم جماعية ذات هموم إنسانية أوسع .

هذا الطمس الجماعي في توجيهه العام ينطلق من - الذات العامة - إن جاز التعبير وليست - الذات الخاصة - مما يقود إلى تفجير أشكال التعبير التي تكبتها العلاقات الاجتماعية .

في قصة - صعود القمر - التي تحمل عنوان المجموعة يحاول القاص على لسان الراوي إقامة شكل من أشكال العلاقة الإنسانية بين بطلة القصة ووالدها ، التأكيد الذي تنبض به القصة في اجتماعية الحدث وما تتسم به شغراتها من تخطيط فردي



يظل الإنسان من خلاله في حاجة للآخرين فالتوتر الذي لازم البطلة في كثافة شديدة يملكها لأنها تتمثل الحدث الذي تعيشه في علاقة روحية معتمدة الأبعاد « عشاء ... وشرب وجد امرأة ... ونوم » ص 14 . هي ترفض هذه العلاقة بحثاً عن وضع انساني أكثر تفرداً تتجاوز به أزمتهـا لذا فهي تبحث عن المنقذ الغائب عن والدها من أجل « أن تكمل صنع عالمها القائم على غيابها » ص 15 حضور المنقذ يجد خلاصها في صورة تختلط فيها الرؤيا بين ماهو حلمي وما هو واقعي لتحقيق الخلاص في صورة رمزية بالغة الجمال تحقق « مناخا اجتماعيا كاملا » كما يرى الناقد حنا الياس في تقديم الكتاب .

وتبدو قصة « القبض على القلب » الوجه الآخر لقصة « صعود القمر » البطلة تعيش أزمتهـا على أكثر من مستوى تأخذ المعاصرة فيه بعدها السوسولوجي بفضاء بالغ التعقيد يهب المرأة فيه دينامية داخلية بحثاً عن خلاصها في عملية مونولوج داخلي وفي مكان مغلق حيث تنتظر خلاصها . هكذا نلاحظ البحث عن منقذ يتحقق في القستين - الأب الفارس القادم على صهوة جواد جامح - قصة « صعود القمر » والرجل المنتظر خلف الأبواب المغلقة في قصة « القبض على القلب » وما على الراويين سوى الإنتظار والتسكك بعن يتقدما . تحديد المسار بهذا الشكل وبناء القستين بمستوى فني يولد في أعماق النموذجين دينامية تبرز من خلالها طبيعة التعامل بين الذات والآخر في عملية تكامل في « صعود القمر » أو تنافر في « القبض على القلب » بين بطلتي القستين والمحيط الخارجي .

في قصة « حب قديم » رؤيا فنية يتعامل من خلالها القاص في توظيف تخصصه الفني - سينما - بكتابة قصة تطرح هماً انسانيا أزيلاً عبر علاقة حب يتداخل فيها الزمن العاطفي الذي يمر سريعاً مع الزمن العادي بوطائه وثقله . وبإعداد سينمائي تكون القصة سيناريو مكتمل الملامح تتداخل فيه الأزمنة بين الماضي والحاضر موازاة الحدث الذي يلعب دوره في إقامة علاقة داخلية لبطلتي القصة تتضح من خلالها رؤيا القاص في اختزال الزمن وتكشف ببراعة عن هم انساني كوني يتجاوز الحالة الفردية إلى حالة عامة .

في قصة « البكري » - بكسر الباء - التي تعني المولود الأول اختزال لمناخ

اجتماعي كامل يمتد من الولادة إلى الطفولة فالشباب يتجسد في تلك العلاقة الحميمة بين الأم العاملة الكادحة وابنها الذي ترعاه وتضمن مستقبله . هذه العلاقة تتجسّد في ربط جدلي بين حاضِر وماضِي الشخصيَّين وما يحيطهما ، ولعل السياج الذي يؤكد عليه القاص يجسد جازِزا رمزيًا يكشف عن فهمه للعمل القصصي في تناوله لظرف اجتماعي خاص يتعرض للعدوان وقصف الطائرات فلا يكون حاجزًا بين عالمين مختلفين بل بين عالم واحد متماسك يراد تدميره والقضاء عليه . القصة تطرح رؤيا صراع اجتماعي طبقي مأساوي لكنه رغم ذلك يأسسه يؤسس لكيان حضاري ويحدد هوية بناء مستقبلي .

في قصة « الأسماء كلها » يوظف القاص تخصصه الفني مرة ثانية فيكتب قصة قصيرة تختزل أحداثها ووقائع مشاهدتها جريمة العدوان الثلاثين الغادر عبر ستة مشاهد متقنة الحرفة القصصية والتقطيع السينمائي لينتهي الحدث بجريمة العصر الكبرى في ملجأ العامرية واستشهاد الأطفال والنساء فيه . القاص اختزل هذه الأحداث بسيناريو محكم البناء اتخذ من الجماعة بطلا لقصته في حركة زاحرة بالمشاهد مؤثرة في العالم الخارجي وتتجاوزة الشكل الكلاسيكي المباشر لقصة الحرب حيث تلمسنا بوضوح حركة اضافية ودينامية تتعامل مع المكان والمحيط الاجتماعي .

في جانب آخر ثمة فضاءات للعلاقة الاجتماعية نسيجها المعاناة والطموح والنضال من أجل تحقيق الاحلام الذاتية على مستويات عدة تاريخية وزمنية واجتماعية فبعض العلاقات تحكم على العناصر المؤثرة فيها بالتهميش والإندثار والضياع كما في قصة « مدن نائية » والعلاقة المنسية بين الطالبة ومدرستها وهذا يؤدي أحيانا إلى فكرة التحدي المضاد والاقتناع بأهمية النضال في تجاوز حالة الغياب والضياع وفقدان الأحبة وتعويض غيابهم .

وتحقق قصة « هذا مصباحك يا عبد الله » رؤيا متقدمة في هذا الصدد بعيدا عن المؤثرة فالشهداء يعوضون غيابهم برموز حية فاعلة ولعل المصباح في القصة يكشف هذه الحالة بأبعاد فنية تحمل معنى تعويض غياب الشهداء ويلمسات تعانق ذات الإنسان فتبهبها القناعة والسكون والرحمة .

وفي موقف مضاد تقدم قصة « البحيرة » ممارسة تخترق قدسية العلاقة الاجتماعية إلا أنها في محصلتها النهائية ترفض رؤيا المجموعة في الكشف القصصي لتحوّله إلى شاهد حضاري يلقي الضوء على طبيعة العلاقات والبناء السوسيولوجي الثقافي القائم وتبنيها توجيهها انسانيا معاصرا لأنّ العلاقات كما هو شأنها تتلون محتوياتها ودلالاتها لتصبح كما في القصص التي أشرنا إليها رمزا منرموز التحضر والتقاليد الراقية لذلك تختفي العلاقات الضاغطة المهيمنة لتحل محلها فضاءات تتعايش داخلها كيانات متنافرة في جوهرها ومتواصلة في ظاهرها وفي قصة «الثقوب السوداء» يعالج القاص حركة الزمن وأثرها في التغيير الاجتماعي فالتحولات التي ترصدها القصة تعطي قناعة لرؤيا القاص بصدق طروحاته وعمق شهادته وصدقها فالكثابة تكون شاهدا على الوقائع ضمن طقس فردي لتعلم الرمي بالبندقية دفاعا ضد الأشرار واللصوص إلى طقس آخر جماعي تجد الهجمة العدوانية الشرسة يتداخل نسيج القصة فنيا في شكل بنية تتوأم فيها الأزمنة مع شهادة الكاتب - وهي أصدق الشهادات - عن واقع اجتماعي حلت فيه اللعنة فأخذ الصديق يقتل صديقه - إن كوة الأمل تظل مفتوحة رغم سوداوية وقنامة أجواء القصة وتظل الكتابة هي شاهد العصر الحقيقي على ما جرى وما يجري .

قيمة العلاقات الاجتماعية تظل جوهر المجموعة القصصية يتعامل معها القاص بربط جدلي بين السلبي والإيجابي في بنية فنية تأخذ مديات واسعة في القص بتنويعات مختلفة لنغم واحد تحمل صدقها وتؤثر الحالة التي تثير الانتباه لتقبل معين من نمط العلاقات بين الناس تشد الكاتب وتثيره فيضعها في مختبره القصصي يكشف من خلاله عمق العلاقة بتشظيها الاجتماعي وتعدد حالاتها وصورها كما نلاحظ المرأة ذات الثلاثين عاما في قصة « زهرة القرنفل الوحيدة » وعلاقتها بعائلتها واحلامها برجل زمنها عبر توتر الموقف وانشداده ثم اللوذ بحلم الزمن والحبيب المنقذ .

على النقيض تأتي قصة «شجر أجرد» تطرح انتصار العلاقة العائلية وتفتتها في طقس يكون فيه الكسب المادي أشد تأثيرا من الرابطة العائلية فيحدث الضياع ويسود الدمار .

يوفق القاص في اقامة علاقة نموذجية بين الشخص في قصة « مواجهة المسالك » رغم اشتباك المصالح وقوة النمط المادي في التعامل . إن افراد بطل القصة وفهمه لجدلية العلاقة الانسانية وتجاوزه بهذا المعنى للآخرين يظل متألّقا حتى النهاية حيث يتأكد المعنى الانساني النبيل التي تعالجه القصة .

وفي « حورية » تهميش ورفض لحالة سلبية تمارسها بعض النسوة العاقرات من أجل الحمل في مقابر وتكايا لا تحقق في النهاية سوى الضياع . ان العلاقة في هذه القصة لم تعد مجرد كيان استاتيكي ثبوتي في الطقس السري بين المرأة الضحية ورجل المقبرة بل يتحول الى عامل فعل وحركة رغم المأساة .

طقس المأساة هذا يتوزع بتنوعات مختلفة في القصص الأخرى ضمن علاقات اجتماعية طبقية يكون الفقراء الكادحون النماذج القريبة إلى القاص فيلقي الضوء عليهم ويرقى بهم إلى عالم انساني متفرد يتعاطف معه القارئ تلقائياً .

إن امتياز قصص « صعود القمر » يكمن في عملية الغوص في الذات الجماعية عبر مرورها بالذات الفردية بتقنيات بارعة يكون للغة فيها أثره البارز في البقية ص :

الكشف عن ملامح أسلوب القاص وتؤكد حقيقة مفادها أن الهموم الانسانية باتساعها الجماعي والذاتي يمكن تناولها بأكثر الأساليب حداثة في الفن القصصي بتقنية جمالية ومضمونية حددت ملامح هوية القاص طاهر عبد مسلم ومقدار اضافته للمنجز القصصي العراقي المعاصر .

الهوامش :

« صعود القمر » مجموعة قصصية للقاص طاهر عبد مسلم / اصدار دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد 1993 .

# فارس التَّيْل

نمـر : فوزية علوي

كيف أتيت مع الرِّيح  
وكيف مضيت  
كما الحلم في غفوة من غسق ؟  
وماذا امتطيت  
وكلَّ الجياد محمَّلةً بالحكايا ؟  
وكيف عبرت الطَّرِيق إلينا  
وكيف سكنت الحنايا ؟  
ألم تعترضك أسننتهم كالبرق  
ألم يسألك ، وماء القبائل هذا نضب  
عن الآل من ذا سباه  
عن النُّخل من ذا جناه  
وذاك الرُّطب ؟  
ألم يأسروا مُهرَ قلبك ؟  
ألم يحجزوا لؤلؤ الوقت من حاجبيك  
ووهج الذَّهب ؟  
ألم يأخذوا نبض صوتك  
مقابل هذا العبور وتيه الخَبَب ؟  
حللت علينا

وإنَّا انتظرناكَ عشرين حولاً  
وهولاً

وإنَّا نسجنا  
لشمسك ظلاً

فكيف ستمضي ؟

وبعدُ صهيلُ جوادك يهمني  
وهذا الغبارُ

ونحن نظمنا لك الجَلَنار

وورد القوافي

ونحن غزلنا اللَّيالي وشاحاً

وطلَّ الفيافي

وقلنا عسى

إذا السَّندبادُ أتانا

وحطَّ عنضاهُ مسا

وهبنا له من لظانا مُداما

ومن همسات الندامى كِسا

وقلنا تُدفي يديه حكايا

وقلنا نخبئه في الحنايا

وقلنا نغنيه أشواقنا



وإن ضاق أُنْفُ أُمَام احتضانه  
نهبه عريشا بأحداقنا  
وقلنا نبوح  
بأه جريح  
وخد ندي  
وناي ينوح  
وقلنا نؤرجحه في المآق  
نهدده كيما ينأم  
وينسى الأسى  
عساه عسى  
ونحن فرشنا الدروب ودادا  
ونحن سكبنا الدموع مدادا  
لنكتب أرجوحة من حنين  
ونبصر في مقلتيه قطاف السنين  
ولما حملنا الحنان على طبق من سهاد  
وعتقنا خمرا  
سكبناه في قدح من فؤاد  
سمعنا الصهيل  
رأينا الغبار يعم الوهاد  
تراك مضيت !  
فكيف اللقاء أتانا تراه  
بويل البعاد .

## على غير عادتها ...

« الكلام على الكلام صعب » أبوحيان التوحيدي

شعر : خالد رداوي

على غير عادتها ...  
بين الصمت والعلن  
جاءت معذبتني في غسق الليل ...  
يلطخ النهد أكوأبا من العسل  
قدح على قدح فويلي ...  
كالرمل لم تروى أهوائي من قحط  
مدامتي عنب كم جرا من السيل ...  
تزيدني علم على كلم على كلم  
فأهوى معذبتني في نشوة الميل  
سبائك الشعر ، سنابل ذهب  
كأنها الدرّ في من دره النّيل ...  
والوجنات حياء في مغازلتني  
مهاة العين قد يشتاقتها أيلي  
على غير موعدها ...  
بين الصمت واللين ..  
جاءت معذبتني في غسق الليل ...  
\* \* \*

تداهم الشوق والشوق داهمني



والثغر ريحان بالعطر والقبل ...  
والصر أغنية باحت بها نظمي  
كأنه الصدف من جوهر القول ...  
وشفة العطر كالسكر تحلو  
فمن ترشّف جاد به السيل ...  
على غير عادتها ...  
بين الصمت والعلن ...  
جاءت معذبتي في غسق الليل ...  
تقول سأمت وحدتي المرة ..  
فجئت اهنو بين القول والقول ...  
اكف كف دمعتي الحرة  
بدفء منك يا ميلي ...  
فضاجع متلما شئت  
فما من بعدك حيل ...  
سأرسي كما العلم على قلبي ...  
على غير عادتها  
بين الصمت والعلن ...  
جاءت معذبتي في غسق الليل ..



# المراثية

شكري الدشراري

في الساعة الصفر  
ستطلق المراسم  
والصلاة على الشهيد  
في الساعة الصفر  
سنذرف ما وأدنا من دموع  
خلف جثمان القصيد  
ونقول :

كان على بلاط الملك منتصباً  
يضاجع ألف جارية  
فأضحى  
تحت سلطان العبيد ..  
في الساعة الصفر  
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

سترحل عن مدينتنا الحروف  
إلى العدم  
ونسير خلف جنازة الشعر  
ونذكر  
بعض مآثور الحكم  
ونقول :

قد خاض الحروب الضاريات  
فما استكان ، ولا انهزم  
أترأه يسقط ،،  
بعدها شهد الرقيق سلقو

أسوار مملكة القلم !؟  
في الساعة الصفر  
ستحتضر القوافي في الفياضي  
في الساعة الصفر  
ستنهار القبور على البحور  
ونودع من كان حيا بيننا  
يحتل مملكة الشعور  
هي لحظة التأبين  
ثم سنستريح من الرثاء  
وسيصعد الأتزام  
يلقون خطابا أو سرايا  
فيقول الناس عنهم شعراء  
هي لحظة ستغيب فيها الشمس  
كي تجد النجوم لها مكانا  
في السماء ،، هذر يؤسس وكوره  
بتوقيع الحداثة / لغو / في كل فم  
يقتل الوجدان فينا  
ويفيض الثلج في كل القمم هيهات  
ياتلق الشعاع بلينا  
هيهات قد دفن الاله بخلقنا  
مذ جاء عبّاد الصنم



وتربصت بالمارد السحري كل تميمة  
فأوقد طيفاً واستحال إلى قزم  
قالوا : ثراث ،  
فأحفظوه بمتحف اللغة القديمة  
والمعاجم  
ما عاد في إمكانها تشييد بيت  
فضلا عن الخوض ببحر متلاطم  
فخذوا رفات شهيدكم  
ذاك الذي اغتالته  
نيران الطلاس  
يا نبضة الضاد  
عبير ذا الذي اغتالوه فيك  
أم حفيف الروح في درن الجسد ؟  
يا نبضة الضاد  
مضى ما ينفع الناس  
ولم يمكث بأطلال القبائل كلها  
إلا الزيد  
يا نبضة الضاد  
ألا تب لسان المحدثين  
والبسوا  
في الحلق حبلا  
من مسد .

# مدائن السوسن

شعر : مراد الفخاري

1

وهناك برأس الجبال  
عند غيمات صيف قديم  
ولدت زهرة شاردة  
جابهت زمنا والويل  
عند عطفات أودية  
جفّ في حلقها الأديم  
برعمت كل أزهارها ماء الحياة

2

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويأطلال تلك الجبال  
هتف الجنار : يا غصون السكون  
باسم أيام أب  
مفهي .  
دغدغي علقات الربيع  
تحت جوف التراب  
ثم قل لي لتلك الربوع :  
اعشقي درب أشواقنا  
قدسي عنف عشاقنا  
ألثمي قطرنا ... والجفون  
أرشفني خمرنا ... واكسري كأسنا في جنون

3

تلك يومية...سوسنة  
في بلادي ؛ وكل سنة  
ويرقص النرجس ... الياسمين  
والشُموع تضاء ونور دفين  
يتحدى ويبهر كل العيون

4

يارجال المتابع ... يا أيها القابعون  
في السفوح  
تحت أعمدة الكابول



هذه المدن الثابتة

والنبوءات ... صرح شهيد

أن عشتار انتهت يومها

<http://Archivebeta.8akhyit.com>

سئمت حلمها

أن تموز عاد

يحمل القبلة الساحرة

والوعود القديمة ... وزاد

وحيننا إلى عينها الشاحبة

دينه قبلة واحدة

واللاحم والأمجاد

لتصيب صواعق حب أميرته النائمة

## زغاريد القلب

شعر : محجوبة الجلالي

وحيدة كنت حين تركت بسمتي  
أرتك أغاني للريح  
أترشف ضياعي  
وأخترق خطوات رحيلك  
تتعبني جمجمتي  
ويستمر نزيف وحدتي  
أرهقني فراغي  
وكل صباحاتي  
امتلات بوحشتي  
أرهقني أنين جرحي  
وخذلني حلمي  
وحيدة أستعجل موتي  
فيا رفاقي لا تبكوا جنّتي  
ولا تسيروا في جنازتي  
أخشى عليكم منّي  
وحيدة دعوني  
أنزف تعاسة  
وأسمع أهانيج الموت  
وأحترف انتظار الفرح  
وأكرّر حلمي  
فريّما غدا  
تأبيني زغاريد عرسي

وحيدة يبعثرني قلقي  
تجرفني رياح الوهم  
يسكن صمتي نواحي  
أتلظى بجراحني  
تحرقني شمس الشتاء  
وحيدة لا شيء  
يفطّني غربتي  
وحيدة لا شيء  
يحمي اندثار حلمي  
وحيدة أستهيك  
أغازل طيفك  
وأحاول أن أرضيك  
تصدّني ربحك  
تأخذني لأحلام موصدة  
وحيدة يأتيني  
صدى غضبك  
أسمع وقع ثورتك  
وتتلخّف الحيرة وجهي  
فكيف أواجهك ؟  
وحيدة أستأصل جراحاتي  
أجمع فواجعي  
وأشاهد ولادة  
طفلة الأوجاع

## شرح من الذاكرة ...

يقطعه : الأستاذ محسن الكريفي

الشرح الرابع : المواويل الأندلسية بين نخلة عبد الرحمان ودموع  
« المرأة الملتحية » .

« لكل شيء قصة » جملة بليغة لخص بها محمود المسعدي رؤيته لنظام الوجود  
... وليس المهم القصة ذاتها بل بنيتها ما تقوم عليه من تشابكات علائقية تفرض  
قيمة أو حكمة تظل شرحا في الذاكرة ناصعا يفني السنين ولا يفنى فيها .. ومع  
أن تاريخنا كله قصص ... كله ملح ونوادر ومواقف تمتزج فيها البسمة بالذمعة  
فإن شرح الأندلسيات ومواويله تبقى القصة الأزلية بل هي قصة القصة ...

ولئن قال الأستاذ صالح الحاجة في إحدى إبداعاته الورقية « لسنا وحدنا نحب  
الأندلس » لما يتسم به هذا الرمز من بعد إنساني عالمي فإن حبنا نحن العرب  
للأندلس لن يضاهيه حب آخر ... قد يقول البعض لماذا تأريخ المهج والكل أصبح  
في زمن المواويل الأندلسية العسيلة ...؟ ولماذا نكأ جراح اندملت وطواها التاريخ  
...؟ ولم استنهض شرح طوته الذاكرة ...؟ نقول ببساطة إن إطلاقات المرء على  
كوى الماضي فتحة على مسكوت خلو بمرارته ... من بخلوته ... فلم لا تتماوج مع  
هذه المواويل الأندلسية ... وكل الذكريات تنساب بلا رجع مع مياه السيفون  
المصنعة ...

ما أحلى الإطلاقات التي يورق فيها شجن الحزن ... ويكبر على نعماتها أمل  
الانتظار ويتدفق منها نشيد الفرح ونشيج الشجن سوتا ... والإنسان يبقى هو  
الإنسان ... يعيش نفس الموقف ... ونفس اللحظة ... في أطر محدودة ومشهودة  
... لن نكون في هذه الأسطر نائحة ثكلى ولا الخنساء ترثي أخاها صخرا ... أو  
مكلومة تاهت في نعقات المراثي الصاخبة ... فقد غزل العرب من المآسي خياما ...  
ومن الدموع دورا ما أعادت لنا عرا ولا رفعت عنا ذلأ ... سنكون ببساطة معبرين  
عن خلجات من أكل الحزن حشاشة قلوبهم ... ومن يقاسموننا رغيغ التاريخ  
أشجانه وفي الشكوى تسرية ... وفي الذكرى سلوى ...  
هذه هي الأندلس .. وهذه هي السنوات التي لا تنسى شذوا معي الأحزمة ...



وادلوا بهويائتكم ... وتصريحات العبور فما عادت خيول طارق بن زياد وسيلة ... ولا دواوين ابن زيدون صك توبة ... إن أردتم رحلة عبر دروب التاريخ فلن أذكر سوى نخلة عبد الرحمان الثامر العربية المسلمة وشموخها ... ومفاتيح عبد الله الصغير المسلمة ... مفاتيح غرناطة آخر معاقل الشُمُوخ الأندلسي ... حدّان يلخّصان قصّة الماويل الأندلسيّة ... ورواية ثمانية من قرون الحضارة زرعها العرب المسلمون عزّا ومجدا وعدلا ...

أيّها الزوّار الأعزّاء ... اعذروا غيائي فلست دليلا محترفا ... أو مرشدا مرجوا ... ولكنني مع ذلك سأخذكم إلى معالم لعلّ النُسيان قد فعل فعله فيكم ... هذا هو قصر الحمراء ... موطن اللقاء الأول ... والنخلة الأولى ... والإشراق الأولى ... قصر الحمراء بشموخه وعظمته وتاريخه دليل على شموخ وإبداع حضارة اعترف الجميع بها سرا وعلنا ...

انظروا معي إلى ما نقش على البهو فكلّ الشرفات ... جملة ناصعة لم تتغيّر ... » لا غالب إلّا الله « ... ترونها منقوشة على الجدران ... محفورة على التوافير ... تعانقكم ما بين الغابات والمسرات ...

أجل « لا غالب إلّا الله ... » وكأنّ الأجداد كتبوها لترتدّها نحن الأجيال المعاصرة لتكون بلسما لجموح التذاكرة وعزّا ومواساة ... قصر الحمراء ليس أبنيّة وأفنيّة وأقبيّة فحسب ... بل هو عدل وخير ومحبّة وحياة ... هو دعوة إلى التأمّل بقيم جوهر لمجد عزيز ...

... الحديث عن الأندلس يهيج الدُمُوع المحبوسة في المآقي ... احذروا أن تفرّ واحدة منها ... أن تتدحرج ساكنة ساخنة ... سأمنحكم أعزائي فرصة عندما تزورون « بهو الأخوين » و« ساحة الأسود » و« جنة العريف » و« غرناطة ... عندما تعرفون قصّة عبد الله الصغير ... أننذ ستعرفون طبيعة صغره ... ومدى المطابقة بين الدال والمدلول ... كان قد قتم مفاتيح غرناطة إلى القشتاليين وجثم باكيا ... وظلّ باكيا ليستمرّ معه نهر الدُعم العربي جاريا ... كانت أمة قد تأثّرت بما حدث فنهرته بكلمات نارية « ابك كما تبكي النساء ملكا لم تحافظ عليه كما يحافظ الرجال »

أيّتها العجوز لعلّ تقيمين مفهومهما عريقا للرجولة ... لعلّك قد جاوزت مرحلة العواطف الجامحة التي تفاضل الروابط الوجدانيّة عن أيّ حكم موضوعي ... ولكن إبنتك كان امرأة ... حقيقة أجلى من أن تطمس ... وواقع أعسر من أن يتجاهل ... ما أبلغ الكلمات تنطلق بلا قيود ... بلا مساحيق ... تنساب طفلة لا تفقه ستائر الثّقن ...

نعم أُنبتها العجوز الصالحة فمن لم يحبّ وطنه ... من لم يقدر على المحافظة عليه ... من باع مجده بحفنة دموع ... من سلّم مفاتيح غرناطة ... وقتل نخلة عبد الرحمان ليس برجل ... هو امرأة ساقطة ولو تسرّ بشارين طويلين ولحية كثيفة ... لذا أطلق بعض المؤرخين في حالة غضب على عبد الله الصغير تسمية ... « المرأة الملتحية » ... كانت تسمية وليدة لحظة غاضبة ... بل لعلّها لحظة شهامة ... أو لحظة انعتاق ...

أحبّتي الأعراء ... زوار الأندلس الميامين ... إن كنتم ملتم زيارة قصر الحمراء وما يحفّ بها من هوامش فلنزر قرطبة ... هذه المدينة الماشقة ... أصوات اللواقيس تصخب في كلّ ناحية تؤذن ترحما على ابن زيون وولادة ... كانا علمين فجرا قصصا نبعت شعرا تغنى به العشاق كلّما مستهم طائف من الهوى أو لدغهم حارق من الجوى ... ألا تسمعون صدى مواويل ابن زيون تلاحق طيفد ولادة شاكية ؟

- أضحى الثنائي بديلا من تدائنا × ونحنا عن طيب لقيانا تجافينا  
- غيض العدا من تساقينا الهوى زمتنا × فدعوا بأن نفص فقال الدهر آمينا  
- لا تحسبوا نايكم عنا يفينا × إن طالبا غير الدهر المحبينا  
أعرأني الكرام ، ستظلّ قصة الأندلس ونخلة عبد الرحمان الداخل ومفاتيح عبد الله الصغير ... وغضب أحمه من بكائياته ... وابن زيون ولادة وقصر الحمراء ... مواويل ترتل على المسامع ... ستظلّ شرخا عالقا بالذاكرة ... مهما حاولنا نسيانه وتجاهله ... إن الأندلس عاصمة كلّ العالم ... لكلّ مدن العالم عواصم ولكنّ الأندلس تبقى خير العواصم ... لأنّها رمز ... لأنّها حلم ... ولعلّ قصة المواويل الأندلسية قد اكتسبت أهميتها من هذا القرع العنيف الذي يصم الأذان كناقوس بدر شاكر السياب وهو يصرخ شانغاي ... كصراخ قاليبلي وهو إلى المشنقة يردد ... « ورغم ذلك فهي تدور ... » كنداء أبي القاسم الشابي المدمدم « ... لا بدّ أن يستجيب القدر »

أعرأني ... بوادينا ... نواحيننا مجاريننا كلّها نخيل ولكننا نحتاج إلى نخلة عبد الرحمان ... يومنا وأمسنا وغدنا كلّه نوادر وأضاحيك ... ولكننا في حاجة إلى .. « المرأة الملتحية ... » المفاتيح كثيرة طريحة الطرقات ... ولكننا نحتاج إلى مفاتيح غرناطة ... نحتاج إلى كلّ هذا ... لمتطلّبات القصة ... تموت المواويل وتقنى ولكنها تظلّ أفعى تسعى ./. /

## للحزن وجه آخر

### فصل من رواية بقلم مختار المومني (صفاقس)

هي رحلة في عناوين المؤلفات التونسية في قالب قصصي أترك فرصة التدنُّق للقارئ .

\* \* \* \* \*

تأتين كصباح شاحب .. لا أيام لك .. لا تاريخ .. ترتقين عباةك الوحيدة وهذه "النار فاكهة الشتاء" تنتقد في الضلوع والحزن الأسطوري يصيب بالصدأ شغاف القلب .  
تجيبين والأجساد تخرج من خرائب الروح والزهور الميتة تتدلق من الشرفات في تجاعيد وجهك المتعب تنغرز مدى تذيق "زغاريد الفرح المنسي"  
تجيبين وأنا أحشو جراحي خرقا .. ينقيني الجرح الغائر في صدري إلى مدن موحشة من الشجن . يسافر جراحي في شراييني شجنا لا يبرأ ولا يموت تأتين "كازمرة لا تبصرين" وريح الخراب تلغح الوجوه .. أتحمس طعم الكلمات في حلقي .. أحاول أن أرسمك في قصائدي ولكن حصان الشعر يفر ولا يترك لي سوى "قصائد موحشة في كتاب النمل" .. أشعل نهاراتي .. أشطبها من "كتاب الأيام" تتمرد خلايا الحبر الساكنين في دمي .. تنوق إلى "الصمت والمجهول" أخطبوط يظلل سماء اللحظات المرحية .. يطوقني الصمت .. تهاجمني "الأفكار" ويظل صدري بستانا بلا عصافير يستضيف الريح ويرقب "المواعيد الضائعة" أنى لقلبي أن يستكين ويشعل في الليل قنديل . ويبقى السؤال يشتعل في دمي والمسافات تنأى موزلة في الضجيج تائهة بين "طريق النسيان" وتوقيت البنكا ترى من يرد للروح صوبتها والفرح ضحكته الفاتنة ؟

2

الجبال تعانق الغيم .. المدينة عارية يسكنها الضباب الخجول .. الشوارع تتأب .. تتأبط حزنها .. تسافر في الصكوك التي لا أرضدة لها .. الوجوه متعبة تحوم حول ياسها ككراشات مراقة .. "هذا يوم طاعتي الأخير"  
"اليوم الأخير" . اليوم رسمت صورتي على "المرأة والأمواج والبحر" .. عندما فرغت من الرسم ابتعدت قليلا ونظرت في صورتي .. قلت لنفسني

أيها الوجه المكرر يا وجهي المسخ لماذا أنت باهت بهذا الشكل ؟  
لماذا لا تتجدد ؟ لماذا أنت معلق في حب هذه المدينة ؟ هذه العجوز المتصايبة التي  
ترميك في كل مساء في دوامة الحيرة والفراغ والقلق  
هذه المدينة التي تريدك أن تحلم وعينك مفتوحتان ورياح الشك تبعثر ..  
ترميك على باب التواريخ المهيمنة ..

وتظل الأشياء القاسية تدور في الزوايا المظلمة من رأسي لتمعاني بالصخب  
والتعب والضجيج .. أثور بعنف .. أتمنى لو أنقض على كل الأشياء التافهة  
والأصنام المحنطة أحطمها وأعيد تركيبها وتشكيلها من جديد ولكن ثورتي تخمد  
فجأة فأنا فرد صغير تافه .. كائن مخلوق من مادة هلامية أو كمحار أخرج من  
القوقعة لا يقوى على مواجهة النور .

مدينتي أضحت تخيفني ... تثير في القرف وتشعرنني بضياح كبير لا سبيل للخلاص منه .  
في جيبي خارطة تحمل إيقاع الفصول وأسطرلاب قديم .. قلبي تسكنه الريح  
.. يهزني الشوق للرحيل .. يتناديني المدن البعيدة .. أبحر في "طلعة النور" تتقاذفني  
"أمواج الحياة" .. كل شيء يتلاشى في جسد الأفق أشبه بالعنات الأبدية .. امرأة  
الساعات الأربع "تجي" .. ينتشر العطر .. يسافر بي نحو الاقارار .. أنتهد .. تتلون  
في رثتي الأنفاس والمرأة تأخذ "أقباسا من سفر الغربة" .. تأسرني بعينيها  
الواسعتين يكبر شوقي .. يسافر في "مناهة الرمل" .. تسكر ذاكرتي حتى الادمان .  
يتعاضم الدوار في تلافيف دماغي وعظام جمجمتي .. تتقاسمني الحيرة إذ  
تتلبسني الأحزان .. أرسم صورة الدراويش يعونون إلى المنفى وتكتمل المؤامرة  
الشوارع تخلو .. المدينة تبدو كمقبرة باتساع الزمن .. تجتاح ريح الخراب ذاكرتي  
.. تضرم النار بين خرائب روحي ..

أحاول أن أرم خطاي .. أشرع بوابة القلب فينبس الحرف سيلاً من الدفء  
يزرعني نسجاً و"تأصيلاً لكيان" . فيندلق "نفق الطوفان" .. تقتحم أمواجه "السد  
المنيع" .. ويظل عصفور أحلامي جريحا تحت لفح اليأس عارياً .

انتهى هذا الفصل في 19-11-94

\* ملاحظة : الكلمات الموجودة بين قواصل صغيرة هي عناوين لمؤلفات تونسية .

## – الغياهب البكر –

بقلم : حيدر عوده

تشرئب أولى الأنفاس الجذلى من بين سنينك المعقوفة حول أضلع الحرب ،  
 لاشيء في الأفق المرتبك ، خشنة سوداء كل المسافات ، كل الساحات ... سرفات  
 تتشب داخل رمال الذاكرة الهشة ، وتقلق أسرة النوم المشدودة للسماء ، مقاهيك  
 مأسورة بالتبع وبالجوع ، الخوذ تثقل نوافذ البيوت المدمنة ، صرير أبواب المعارك  
 الصدئة ... ها أنت الآن تعود ، أنهكتك أضواء الليالي المعشوشبة ، أسلاكاً شائكة  
 تدجج الرؤوس ... إلى أين تملك المجلات العائنة بلحمرار غروب مزمن ... كانت  
 المسافة طويلة ، وأنت تسير ، تكبلك أعزاق رطب « المجس » ( 1 ) راكضا صوب  
 عتبة الجنوب الأولى ، وتستريح عند الشيطان الممتدة بينهما ... كنت وحيداً ، تغورق  
 عينك ، وتقذف بالرعب في الماء ، تركض بشرود كبير ، تلاحقك أصوات الانفجارات  
 قبل أن يلامس « بسطالك » الدكة الأخيرة ، وكانت المسافة أقرب ما يكون ،  
 وحينما تهيأت الخيام لتركب أعناق الجمال ، هرغ الصبية متحلقين حواك يرددون :  
 « شمو نسج بالكيط بديار أهلنه ... » ( 2 ) .

اغرورقت العيون المحمولة على أعناق الجمال ، وأنا أركض نحو الشيطان ، كنت  
 عطشاناً تلاحقني أصوات الصبية إمتدت يداي إلى الماء وتلاشت آخر أقدام الجمال  
 الراحلة ، ثمة ثقبو تتسع بين أقدامي والجمال ... حينها أدركت أنها تقف خلفي  
 تماماً . إستدرت إليها ، أخذتني معها دون أن أفتح فاهي معترضاً ، أجلسستني  
 قربها على « الروف » ( 3 ) قلت بهدوء – لقد تركونا ، ولم يستمعوا إلى الصبية ،

لكنهم سيرجعون أنا متأكد من ذلك ،إنهم يعيشون الأطفال ...تركنتني أثرثر لوحدي،  
حدثها عن « المجاهيل » (4) وهم يخرجون في المساء ، يتسلقون سلماً من  
الضياء ، يعد أن بكوا طوال الليل ، حدثها عن بساتينهم الممتدة مع شطآن  
« المجر » وكيف أن النسوة كن يشاهدن « المجاهيل » يلعبون فيها ، فيهرعن  
فزعات ، يولولن بأصوات مخنوقة ، التفتُ إليها ، كان وجهها " محتقنا واجما " ، تبرز  
شرايين رقبتها بشكل مريب ، قلت لها - إنهم يعيشون الأطفال ، وضعت رأسي بين  
ساقَي ، فأحسست بها تخلع ثوبها وترمي في « النهر الأسود » (5) تسربت إليّ  
رائحة جسدها الغض ، شعرت بخصلات شعرها تلامس عنقي ، أخرجت رأسي  
وأمسكت بقدميها ، وتراجعت مصعوقاً لقد كانت تلبس « بسطالا » قذرا ، صرخت  
فيها - ماذا حدث .. لكنها لم تكن موجودة ، فجأة شعرت بيد ثقيلة تمسك كتفي من  
الخلف - اختبيء .. كدت تصاب .. كان ذلك صوت رقيق في الموضع بمنتصف  
الملجأ ، دخلنا الملجأ ، جلت ببصري إلى نهايته ، دون جنوى ، لقد تبدد كل شيء  
فجأة ... كانت المسافة بين النهر والملجأ قصيرة جداً ، ومع ذلك لم أكن قادراً على  
أن أخرج منه ، شعرت بجسدي ، قد أصبح كتلة من الجمر ، قلت لها - ما رأيك أن  
نسبح في النهر ، خلعت ثيابي الخاكية ورحت أغطس في الماء البارد ، بينما هي ،  
أخذت تتقدم شيئاً فشيئاً داخل النهر ، وأنا أتابع التصاق ثيابها بالجسد المكتنز ،  
غرقت ماءً بيديها وصبته فوق شعرها بعد أن تناثرت ضفيرتها العريضة على ظهرها  
، رمقتني بطرف عينها وابتمتت - ماذا بك ، ألم تشاهد امرأة ؟! ، أحسست بالضيق  
يحسر صدري ، غطست داخل الماء ، واختفى كل شيء أمامي ، لا أعلم لماذا  
شعرت بالخوف ، كانت أصوات بعيدة تتسلل ببطء شديد إلى رأسي ، للحظة  
أحسست بالارتياح ، فتحت عيني على وسعهما ، أخذ الماء يوخز عيني ، رأيت  
« المجاهيل » يركضون يمرح داخل الملجأ ويعبثون بأغلفة القنابيل وصناديق  
الذخيرة الفارغة ، لقد كانوا عراة تماماً ، وثمة ضوء أخضر ينبعث من السماء  
خلفها ، قلت لها : « سيرجعون لا تقلقي إنهم أطفال » خرجت من الماء وراحت

تركض نحو البيوت المخضوضرة بذلك الضوء بينما كانت الشمس تنسحب ببطء ، قبل حلول الظلام ... سمعته يصرخ عليّ : « ماذا بك لا تهدأ ؟ هيا اخرج واركد ملابسك ، ستمرض إن بقيت هكذا » تأملته وهو يقف وسط الملجأ ، لقد تعودت على كل شيء وسط أفواه تنفخ النيران لتحرق أي شيء ، نعم لقد إنظم إلى تلك الأفواه ... خرجت بهدوء ، وارتديت ثيابي ، بحثت عن « البسطال » فلم أجده ، هرعت إلى داخل الملجأ الطويل جدا ، دون فائدة ، جلست زارعا رأسي داخل حجري ، حاولت أن أسترجع ما حدث عليّ أتذكر أين نسيته ، شعرت بفراغ يغزوني ، ظلام كثيف يجهز على المكان ، أحسست بالخوف . فبدا صوت انفجارات بعيدة يقترب ببطء ثقيل ، رفعت عيني نحو البيوت المرتسمة أمامي . لاحت لي من بعيد أضواء تسيير بخط مستقيم وترتجف بهدوء وسكون شديدين ، تلالأ عيني دمعة يتيمة ، ورحلت أتخيل فرحة الصبية بالرجوع ثانية ، تصاعد من حوالي صوتهم صارخين بفرح غريزي لذيق « عمي يا بو فلان ردت الوطنة .... »

دوى صديء الكلمات في رأس الأرض والسماء ... بحثت عنها داخل الملجأ الطويل ، وقرب الشيطان تحت ظلال الأشجار وأغالي التحيل ... صرخت عليها في كل اتجاه ، كانت ذكرى عتيقة لمعت للحظة وغابت ... ركضت باتجاه الأضواء المتقدمة إليّ ، تسربت برودة الرمال إلى قدمي الحافيتين ، رأيت الأضواء تملأ السماء ، حتى اختلطت بالنجوم ، وشع الكون بنور قوي .. صرخت في سري وقد ملأني حقد دفين - ماذا جرى ، حينها فتحت عيني على وسعها ، كانت أجساد كثيرة ، تسقط على بعضها البعض أمامي ، وصارت تلالأ عديدة تتماوج منتشية بلحن ينبثق من الأرواح الذبيحة حتى يهطل مطرها ، نزيفا لا يهدأ ... زحف إلى الملجأ يرتجف فزعاً ، أحس بقدميه تحملانه خارج مسار الرمال إلى أين ... لا شيء يسلم من الأضواء ودوي السقوط العظيم . ظل يركض دون إرادته إلتفت وراءه فشاهد « المجاهيل » يركضون خلفه وقد كست أجسادهم ثياب طويلة بلون الرمال ، تتبعهم أعداد كبيرة من الأطفال العراة وهم يسيرون داخل الملجأ الضيق

... ظلّ مشدوداً إلى المشهد بخيط لا ينقطع حينها شعر بشيء غامض يتبدد في مكان ما من الأرض ، أخذ يركض وهو يحس بقدميه تغوصان داخل الرمال ، بينما كانت تلال الأجساد تتسارع حوله محدثة ذلك الدوي ، كان يحسها تسقط على رأسه أراد أن يصل إلى الشيطان ويظل يغوص ، ويغوص ، ويغوص ... لم يكن حينها يعرف في أي مكان هو ، لكنه كان متأكداً أن هذا المكان لا يمكن أن يكون إلا الموت ، سمع صوتاً يخرج من بين الأنقاض التي لازمته زمناً ، ابتدأ حينما رأى ذلك الجسد والوجه الذي ألفه طوال حياته ، وقد حشر في صندوق خشبي ، بعد أن صار مسخاً ، كان الصوت يسيل على رأسه كالماء الدافئ ، لقد تغيرت كثيراً شعرت بالاختناق ، لم أكن قادراً على النطق بحرف واحد ، إنبثقت أصوات كثيرة من كل جزء في رأسي تتزاحم فيما بينها - لقد رحلوا - بل ماتوا - لكنهم أطفال ، لا تذهب أنت أيضاً ، عد سريعاً أرجوك ، اركض ، اركض ... إختلطت كل الأصوات عليّ ، لم يعد باستطاعتي تمييز أحد ، سحب من الضباب تحول دون رؤية أي شيء ، وحدها الأصوات تشع كنجوم كبيرة تهدل السماء ... كان يرى جسده يمتد من قبر « المجاهيل » وحتى أبواب « المجر » حاول أن يتذكر ما حدث منذ أن تعرف على القطارات و « الكراجات » المزرية ، ليال اللتبغ وأخرى للموت ، لم يعد قادراً على التذكر ، بدأ يحس بالأشياء تنهار أمام عينيه ، قبور الأولياء ، النسوة المجتمعات حول بيته ، خيام تقطع عنق الصحراء وتدق أوتادها في القبور.... عاودته تلك الصور التي كانت تراوده في كل وقت شاهد تلك المرأة تقف قرب المستشفى ، ترائي له لون ثيابها السوداء وهي تمتزج بلون بناية المستشفى ، أحس برائحة المعقم تصل في رأسه وتبدد رائحة جسده كآخر ذكرى نهشتها سرف العجالات ... شعر بضغائر بيض تحيط برقبته ، وتجره بعيداً ، بعيداً ... كان جسده يتحطم فوق سطوح تشبه سطوح القبور ، إنشبت برقبته خصلات الشعر ، كأسلاك شائكة ... كان يشاهد بألم عينيه ، وجوهاً يالفها ، لكنها الآن صفراء شاحبة اللون ، ودُّ لو يتذكر أسماء أصحابها ، ولكن الصور تسارعت مبتعدة عنه وتتلاشى في نهاية



الملجأ ، امتلأت الصحراء بالقبور المنتصبة بقوة ، فيما تسربت المياه إلى القاع ، بينما الأجساد المنتشرة على عرض الأرض . تتفسخ بسرعة مدهشة ، وثمة أصوات وبئدة ، تتسلل من الأفواه المحمولة على أعناق الجمال المرتسمة في الأفق البعيد ... عندئذ ، كنت أشاهد جسدي يمتد على طول الملجأ الذي يشطر الأرض التي غزتها القبور ، كديدان تاكل جثة طرية ، فيما أخذت أهزل وأنحشر بداخله ، كان جسدي ينضغط بقوة من رأسي حتى أخمص قدمي ، وبدأت أنضغط ، وأنضغط ... لم أحس بأي ألم تماماً ، وحدها الصور تتلاحق أمامي ، والبرودة تسري من رأسي وتتسرب شيئاً فشيئاً إلى كل مساحات جلدي المملوط ... ثمة عيون دامعة ترمقني بحزن أزلي ، للحظة أحسست بحاجتي إلى أن أركض ، لكن أطرافني تلتصق بجدران الملجأ بقسوة مؤلمة .. شعر بظلام كثيف يملؤه ، اغمض عيني ، وهو يحس بجوع شديد للنوم ، كأنه لم يتم منذ سنين طويلة جداً ... عندئذ أدرك بأنه لن يركض أو يستحم في الشطآن الدافئة . بعد الآن ، حينها كانت الرمال تزحف عليه ببطء شديد بينما كان ضوء أخضر شاحب ينبثق من جسد الصحراء نحو السماء ، تتسلفه أعداد هائلة من المجاهيل ...

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

## \* الهوامش :

- 1 - المجر : وهي منطقة في مدينة العمارة - محافظة ميسان .
- 2 - شمونج ... : ما أحلاك في الصيف أيتها الديار .
- 3 - الروف : وهو سداد ترابية متوسطة الارتفاع .
- 4 - المجاهيل : وهما طفلان يعود نسبهما إلى « السادة » وقد ماتا صغيرين ، وقد بنى لهما والدهما السيد ( هاشم ) قبرا داخل بيته ، ومنذ ذلك الحين صار مزاراً للناس يندرون له ويطلبون منها تحقيق مرادهم ، وهو قائم إلى يومنا هذا في شارع عشرين في مدينة الناصرية - محافظة ذي قار .
- 5 - النهر الأسود : وهو نهر تتجمع فيه الأقدار ، وقد ردم حديثاً قبل سنتين ويبعد قرابة مائتي متر من قبر المجاهيل .

# الحلم الهارب

بقلم : كمال الحمزاوي

\* الإهداء : إلى الأستاذة فوزية علوي - القصيرين

تتساقط الأيام ورقة ... ورقة ، صفراء بلون الخريف وتنزل الأزمنة على صفحات  
العمر لتدوسها بشراسة ووحشية مرعبة ... يختلق حلقها فتقص بريقها وبالهواء  
الذي تتنفس ... فتحس باليوم يشتعل اشتعالا فينصهر انصهار الحريق ... شيء  
من الضيق يتطلب داخل صدرها فتزفر زفيراً ترتعد له الأضلع وترتبك له المفاصل  
... ترى العروس بجلبابها الأبيض تجلس وسط الحفل المتقد بعد أن أقتيد الجمل  
إلى القطيع ... شعر يسكنه الليل ... أعين شبه نائمة إنها الأفق الممتد عند الصباح  
... ابتسامة تتفتح لها شفاها بلون الزهر ... هذه هي ... عروس الليلة ... النسوة  
خرجن بلون الربيع وفي قلوبهن فرحة بابتنة العائلة التي تزف فتحتفل بفرحة العمر ...  
فتدخل مملكة الاتزان . خرجت تتوسطهن " فرحة " وعلى وجهها كتابة غيّرت من  
البهجة محاسنها وسرقت خيبة الدنيا لتسوك بها شفتيها العذريتين ... خرجت  
برداها الأسود الذي ارتدته قبل أيام وهيتخبّ خبب الناقة في كتيب من الرمل ..  
متساقطة إلى الامام مختزنة الأحزان في قفص الصدر المعتل .. تنظر إلى العروس  
في بياضها القطبي الناصع وإلى احمرار وجنتيها وكأن نارا قد انتقدت فيهما أو أنها  
الفرحة قد اجتمعت فعلا لتجعل منها لوحة من ألواح الطبيعة الساحرة أو رسما  
ملك الجمال الأعلى أو أن ماء الحياة قد انحبس فيوشك على التدفق أو شيء من  
هذا وآخر من ذاك ... تظل " فرحة " الدقائق الطوال مسمرة النظر بأعين تسجل  
الاعجاب ... تغيب زما عن الحفل والعالم ... تشرذ به الأفكار وتدور ... وهي هناك ..

تركب خيالها وتتداعى إلى ماضٍ قريب بعيد ... تحلم لو كانت في مكان كهذا  
وعروسا كتلك ... وأن تتكأ على كتفي خليلها وتنام إلى ملا نهاية ... أما الجمال فلها  
فيه ضرب وباع كبيرين لولا سقوطها في الرغبة فكان أن اقتطعت قبل أن تنضج من  
 وراء العرش وصمتت ... كبرت فيها أنوثتها فمالت إلى أن هوت ... إلى أن ... إلى أن  
... تقطع الأهازيج عنها حلمها المدمى فتشل شلال التفكير والرجوع إلى صناديق  
الأحداث الماضية وذراج الزمن الضائع ... اندفعت كعنز شرود ودخلت إلى غرفة  
بحوش العرس الذي تربّع وسط القرية الجبلية ... تمسح بعض العبرات المحرقة  
التي نزلت على خدها لتتظاهر باللانفعال ... باللاشيء ... جلست هناك في ركن  
يتجمع فيه سكون وسواد ... تتضاعف الأحزان وتتبدّل ، ويقلبها حنين إلى البكاء ...  
إلى نواح صامتة يقتل نبض الحياة في العروق ... إلى رثاء السنوات الثلاثين  
الماضية ... إلى قطار العمر الذي أكلت صفائحه ولم يعد قادرا على تحمل  
مشاق الطريق المتلوية في جبل وعمر يصعد إلى السماء ... تتراكم الهمم فتشبه  
شهبًا مزعجا فتحس بأنّها خردة لا تبايع ولا تشتري وإن ابتيعت فبئس بئس ... أو  
أنها كالجمال الذي تعب من حمل العروس دون تفاعل مع الحدث فينتهي وجوده  
بانتهاؤ الأمر الموجود من أجله .. ما عاد يهمها العرس البعيد وما عاد يعينها البقاء ،  
تعود للحديث مع نفسها ... تثرثر مع باطنها المتحرراً ... تحاول طرد صورة عشيقها  
من زوايا جسمها وطيأت لغائف شعرها الهائج على كتفها ... تخرج منه لتجده  
مثالا أمامها ... تدير رأسها علامة لامتعاض فيبرز من عدم ... تسلك من بين  
العرش لتحمل وجودها للالتحاق ببيتها المتداعي ... المنفرد ... مع والدتها العجوز ..  
الضريبة ... لتتعلق فيه بعض السويغات لوحدها ... لتخرج من حزن قاتل ألم بها  
... تجري مغلقة أذنيها بأصبعها حتى تطرد نغمات " المزود " المتلاشي وسط  
السكون الليلي وعيناها صوب الحجرة وراء الوادي وقلبها يرنو إلى الهروب من  
الأم ولا مفر منه ...

— أمي ليتك تفتحين عينك وترينني ... لا ... أبقى هكذا ... فماذا ستشاهدين ؟

أي حال سيعجبك وأي صورة ستجدينني عليها لو أهداك الله البصر ؟ .. أما كان عليك والدتي لو أجلت خلوتك بوالدي ليلة وإلا لكنت ربما انसानة ؟ .. يا عيبي على نفسي ويا للخزي الذي أحمله ... إنها تحاول نسيان الصبايا وهن يرقصن على نخب طهر وعفة عروسهن ... تدفع الباب وترتمي في الداخل على صدرها وقد توسدت أرضا امتصت الندى وتهرأت من ضرب الأقدام ... راحت تلتطم نفسها فتجمع مفردات النحس والتأسي على عمر ضاع : " فرحة " قريبا تقوص الأيام ظهرك ولا بعل ... " فرحة " ستغرب شمس جمالك ولا زوج ... " فرحة " سيجعل منك اللسان أقصوصة ولا ... ولا ...

يكثر بكأؤها فترفع نفسها بثقل كبير لتأخذ مكانها والنوار يلعب برأسها ... يدور بها سراب وكان الهاوية تمتصها ... ترتكز على دفة خزانة متهرة فتشد من حثالة عزمها المتبقية ... تصطدم عينيها بالواقع ... بصورتها في ما تبقى من بلور عالق بها ... ترمي بالسؤال عقب السؤال ... وبالحيرة وراء الحيرة ... تلمس بخديها تتفقد شيئا ... عل ماء الصغر ما زال مختبئا فيه ... تقيس شعرها فيتدلّى حتى الخصر حمامل - حمامل - تحلق في اتساع عينيها وفي بريقهما المغفور بحبيبات الدمع فتشبهق شهيقا مرعبا ... تمد يدها إلى مواد تجميل مبعثرة ... كحل ... سواك قارورة عطر تحتفظ بها والدتها من ذكريات زوجها المرحوم ... أنها تحاول البروز أحسن من عروس الليلة .

- نعم إنني أجمل وساكون ملكة تترع على عرش الجمال ... ستقْدَم لي زوايا البيت لترافني للظلمة ... وسيعزف لي الصمت سمفونية الحياة ... سأعرف لمن أهب جمالي هذا ... وهذا ... وهذا ... وهي تشير إلى مواضع من جسدها ... يتعال صراخها ويأخذها صرع وسقطت كتلة واحدة ولا حركة ... استفاقت الأم العجوز وراحت تتحسس مكان ابنتها إلى أن وجدتها كصرح هامد ... واستمر الزمن ليقف في محطات أخرى لعلها تكون أسعد من هذه أو أسوأ ...

# العرس

بقلم : زمردة دلهوي

زغاريد ترقص في السماء صارخة، وأصوات صاخبة ضجيج يصلخ الأذان غناء يطرب الوجدان ويهز النفوس وروائح بخور امتزجت بعطر ماء الورد والعنبر والسحاب تنعش القلب بصوت الخالة صالحة يرن بأغنية ( فارس وصبيبة غنجة ) تسربت إليها ذبذبات متقطعة ومشوشة وكانت في الفراش تحلم بعد أن زارها النوم ثقيلًا شقّت ( 1 ) بعلتها وقد تقلبت منهكة مرة تضحك ومرة تبكي ومرة تقف أمام المرأة تتزين كالعروس وتعبث بشعرها وتلبس الفستان الأبيض وكانت تذهلها رقة وجنتيها ، أو حمرة شفيتها فتلطيخ وجهها بالعدل ثم تغسله لتظل بشرتها ناعمة كالحرير وتظل ، تحلم إلى أن يخطفها النعاس بعد نومها ويميلها الأرق فتضم طيفة بين جفنيها وتنام في الحلق غصة وفي خاطر يرسم الضباب تقلبت يمينًا وشمالًا تصورت لوهلة أنها كانت تحلم وقد أقض مضجعها هاجس الخاتم والورد والفستان والزفاف لكن الأصوات عمت المكان فنهضت مغمضة العيون واتجهت صوب الشرفة فتحتها بعنف وأطلت منها سائلة نون جواب فعادت والضجيج يعم والسوال يكبر !

ما دامت الخالة صالحة تغني فهو عرس والعرس في الحي قريب جدًا يزورها الانتشاء تمسك برقبته وترفع رأسها وقد نفذت رائحة البخور وتخللت جسدها فادهشتها روعتها ، مضى زمن طويل ولم تسمع صوت الطبل أو زغاريد ولا حتى صوت الخالة صالحة فقط سمعتها تبكي حينما مات الحاج إبراهيم السنة الماضية . كانت تسمع أصوات الباعة تحت المنزل وعلى الطريق يتحركون بخفة يتفنونون في استقطاب سيدة يستهويها كحل أو سخاب أو علك طري أو حناء فائحة رائحة

البخور لم تزر الحي منذ ليلة القدر ، أذن هو عرس ولا شك فيه علّه زفاف احدى بنات الخالة ربح فقد رأتها بالأمس تشتري ماء ورد وشمع وحناء .

العرس بالحي ولا بد أن تذهب بأي شكل ستزين وترقص وستراه هناك لابد أن يأتي رائعا مبتسما خجولا وأنيقا سيحضر العرس ليراها أعجبتها الفكرة ودخلت تدور على أنغام الموسيقى المنبعثة من الخارج : يوما ما سأتزوج سألبس ثوب الزفاف وسأكون أجمل عروس في الحي اقحوانة متوحشه تتفتح في الربيع القاحل أغمضت عينها في شبه اغفاء عابرة فإذا بوجهه يتبق خاطرها كم تحب هذا الرجل ! فتحت عينها مجددا ، تتحرر من كل تعب وتسترجع لحظة من الزمن الجميل ، ظل الحلم يتابعها ، خرجت إلى البهو مترنحة تستوي الفرحة داخلها

وتهل الأحلام العذراء فلقاً يضيء الوجه ويحبس الأشجان ، جلست على حافة حوض النعناع تستنشق عبيرة وتقضم أوراقه الخضراء ، لا أحد بالبيت إلا هي وقطة مسقومة تفتش نطعا وتنتظر الرحيل .

الصخب الممزوج بالبخور لا زال يلاحقها وأغنية الخالة صالحة لم تنته بعد والفارس خطف صبية العاشقة وزحل

<http://Archivebeta>

فجأة شق الصمت أختها وقد دخلت كعادتها محدثة ضجيجا ليس يفهم وكلاما مشوشا ، نظرت في اتجاه حوض النعناع فرأت أميمة تجلس بارتياح قالت ضاحكة - أَلن يرحمك الله وقطتك فيأخذها ويزيدك طولاً ؟

صرخت أميمة :

- وما شأنك أنت وقطتي أأكل من قدرك أم تنام لديك ؟

- لا ! لا ! ليس من مصلحتها أن تنام لدي فانا انهض باكرا وهذا يزعجكم

أقصد يزعجها !!!

- دعك من الهراء وأجيبيني ، أين أمي ؟

- تركتها بالعرس تساعد في الزينة وإعداد الأكل

- ولكن هو عرس من ؟

- أنت لا تعلمين اذن ، هو عرس " حازم " ابن العم حسن البقال لقد تزوج ابنة عمه العائدة من فرنسا .

مسكتها بعنف من ؟ غبية أنت كعادتك ، تخلطين بين الأسماء لا بد أنه أخوه " حامد " إذ بالأمس كنا معا ولم يذكر لي عن الأمر شيئا .

- هبي أنه تزوج أو طلق أو انتحر وما شأنك أنت ، فيما يقلقك النبا ؟ دعك من الأسئلة السخيفة وتناولي فطورك ثم التحقي بالحقل الكل ينتظر مساعدتك ستكونين هذه الليلة رائعة وأنيقة أعرف أنك أجمل مني ولكن هذا لا يؤلني لأنني أطول منك ! انتفضت عنها وطفقت تتحدث عن العرس في هذيان مجنون ، ليتها تكف دقيقة واحدة هذه البلهاء لقد دمرتها وصفعتها صفة أدارت رأسها وجعلتها في سباق لا ينتهي مع العالم والأشياء .

كل حرف نطقته كان إثما حجر صوان يحرق كل مكان اصابته ، أي معتوهة هي وأي حديث تنطقه وأي خبر يذهلها ؟ لقد تزوج " حازم " شيء ما بداخلها يتشهم انهار بالعين تنفتح ، تتابع دقات قلبها وتواترت واختفت وزارها الانكسار تحسست وجهها وشعرها بيد من تجف من أذنين موت تنفتح ورياح سهد تهب هل حقا فعلها لكنها رأتها البارحة ولم يخبرها فقط قال أنه يحبها وعدها بقصر عال سواريه من الشوق وأسقفه من الهيام وعدها بأن يرحل بها إلى جزيرة أبعد من الخيال لا رأتها عين ولا مرت ببال وكانت متأكدة كانت متأكدة داخلها أنه يكذب ولكن الحب صدقه ظل يعدها ويفرقها في موجة من السحر الدافئ ويطوقها بقيود الخرافات الواهية أقحمها قصور الجان وقلاع ألف ليلة وليلة ألبسها الحرائر جردها من كلمات الرفض ووهبها روح الازعان ملكها فأني سحر تجرعتة عريدا سكن في القلب ودمر أشرعتها واقتاد حراسها غازل جواربها وطارحهن الغرام عبثا ومضى " كاذب هو اذن أغنية أنا ! لقد نزل مطراً فوق أرضي القاحلة ، فأخصبها وسكن عابرا في مخيلتي فامتلكها ، ديمًا (2) سكويًا طفى على سواحل البؤس فجر فيها " تتابع التساؤلات حولها دوائر استفهام تتكاثف

فتتورط ولا تلقى إلى الخلاص سبيلا ، أكلفها البكاء ظل معها حلما ومستقبلا ،  
رفقة وبعادا قبلته لا تزال حية تنبض ، رائحته لا تزال تعبق في خلايا ذاكرتها ، يده  
تداعبانها في عطف ووعده يرن كالنفخ كالفجر أو كالنسيم واللازورد يشهد كم  
مرة التقيا تحت خمائله وكم مرة باركت النوارس عشقهما وسجد البحر عظمة  
واكبارا وكم مرة ترققا صوب الشرق عند الأصيل وكم وكم من الآمال تمزقت  
وكم عشقته ، جف الحلق ، أي جوح ألم بها ، لقد خبّ (3) فصدقته وقد ضوت  
إليه خائفة أبقة وهو السبيل رعدة تسربت بين مفاصلها سما انتشر في  
أنسجتها ومرا سكب بين الضلوع ، أكيد أن أختها أخطأت لن يتزوج " حازم "  
من سواها لقد وعدها بأن يتقدم لخطبتها ووعدوها بأن يرحلا سويا عن الحي  
والعين الجارحة والألسنة الواقبة لم يكن حبه وهما أو عرضا بل كان ضربا من  
التنبؤ والأحياء والشيطنة والعبث ، لقد عذب قلبها بالوجيب وكتب اسمه بلهيب  
فشات كل العقاقير في إزالته ملاذا هو يشيها ألم الوجد ، وحدة الخوف من  
الآتي ، عوذ تحتمي به فتهدأ وسيل سبيل لا تتجرع قطرا ، أحبته رمزا  
وسندا وحقيقة غائبة ، بجوي القلب التيز الجنوح وتوزم الكبد ، ثملت (4) إليه  
فسقطت .

اذن لقد تزوج ، هاضني حمقاء ورحل ، سخر من صمتي ويكائي .  
خرجت من البيت بعد أن غيرت ملابسها ورسمت ملامح الفرح فوق محياها  
وطردت من رأسها فكرة الانهيار ، لن تغفر لأختها ما الحقته بها من وجع لو أخطأت ،  
أطلقت شعرها في عناد وتعطرت وخرجت لتكذب النبأ .

تدحرجت من السلم مسرعة الشارع يصوم في الغناء الصاخب والزغاريد  
القائلة ، توقفت عند الباب أمينة الخياطة هل تسألها عن صحة ما سمعت ، مدت  
يدها لتطرق الباب ولكن أمينة فاجأتها قبل الطرق .

أهلا بك أميمة ، ذاهبة أنت إلى العرس ، أنا أيضا ذاهبة فقد دعنتي إليه أغنية  
الخالة صالحة وجذبتني روائح البخور كم أتمني أن أراك عروسا يا أميمة !



تجاذبنا أطراف الحديث إلى أن وصلنا آخر الشارع حيث منزل العم حسين ، بيت جميل به من وجه الرخاء ما يميزه رغم روح القدم الراسخه وقرن الثور يؤكد ذلك خوفا من العين علقه مع قليل من الملح والكمون والكحل (5) .

التقينا به عند الباب فرحا متالقا في جبته البيضاء ورأسه الأشيب وكرشه السمين .  
- أهلا بكما تفضلا مرحبا زارتنا البركة .

ثم نظر إلى أمينة مبتسما لا تزالين رائعة رغم الزمن ماذا لو تزوجتني يومها يا أمينة لكنت أم العريس ماذا نفعل العناد وأين وصل بك الحب والأحلام الذابله ؟ لكن أمينة رمقته شزرا وضحكت غير مبالية ومضت ثم نظر إلى أميمة وقال :  
- ألم تتزوجي بعد أرغب تزويجك لابني " حامد " فأنت جميلة وينت عائلة أوعث (6) في الكلام وأخفضت بصرها وسكت !

هذا الرجل لا يدري أي مصيبة حطت فوق أصقاعها ، تدافعتا في اتجاه البهو بعد أن تركنا العم حسين يستقبل النساء ويمطرهن غزلا خفيا وحديثا عابرا استقبلتها أمها :

- ابنتي حبيبتي ، تركتك وحدك هذا الصباح ، هل تناولت فطورك ؟ تريدن قليلا من الشاي ، ثم جاءت أم العريس ومنشرة والفرحة تغمرها أمسكتها أم أميمة من يدها وقالت في خفة مفتعلة :

- اسرعي قدمي لابنتي الحلوى والسكر وقليلا من الحناء لتتال بركة الفرح فتنزوج أيضا .

ظلت واقفة حينما تحلقت حولها مجموعة من الفتيات يسألنها ويضحكن لكنها لا تجيب ولا تعي شيئا سوى إحساسا مقرفا بالخذلان يراودها (7) ، خاذل هي إذن سكنتها حقيقة الانتهاء فخرجت ساهمة مصفرة الوجه ذابلة إلى المنزل مرة أخرى تتنوق العذاب ألوانا وتدوس جمر المأساة يحيط بها القفار ويلوح الملل كغريق من اليم أطل هي بنونه صحراء قاحلة وأرضا جدباء هي بنونه ليل غاسق هي بعده لا شيء .

جاحد هذا الحبيب عزف على أوتار الجروح الثملة ومضى شدها الضنى إليه  
واشتاقت إليه وهي في أقصى حالات الاحتفال بالوحدة والكابة والظلام غازلها  
الوجد وقذف بها واهنة في يوم مجهول المبدأ والمنتهى وقد تسلل خيط فجرى هاديء  
وتريع في سماء القلب المتعب المكبود وتنفس هذا الحزين كي يعيش وربما تبسم  
المحيا فاحمر كوشاح عروس وحن القلب يومها إلى مكان قصي يولد فيه من جديد  
بين البحر والسماء فتبسم وبني نفسه بناء يرضيه ، لقد حن القلب إلى رهان يمنعه  
النوم ويحيله أشبه بالسحرة الطيبين أو بحراس آخر الليل وهي أقصى حالات الحب  
وأسمى درجات العفة واليقين .

لقد تزوج إذن .. .. حقيقة يجب أن تقنع بها وتستوعب سطورها لقد  
تزوج دون إعلامها ورمى الوعود الواهية في البحر فزى جرم اجترمه في حقها .  
ايهزأ بمن عشقته صدقا أيسخر من التي وهبت العفة وصدق الحسن النبيل أي  
جاحد هذا الحبيب

كم حدثها عن الفرح والحب والوفاء كم أقسم أن لن يتركها كم كذب وكم كانت  
عفلة إذ صدقته

ما عساني أفعل الساعة ، أي طريق أسلك ، بأي وجه ساقابل حقيقتي كيف أقنع  
نفسي بأني انتهيت ، أي مصير ينتظرني شرختها التساؤلات ، كذب فصدقته ، تملق  
فتجردت من ذكائها تسلحت بالإذعان خاتلها ساخرا فأمنت به أي نبي هو وأي  
سحر يحمله ؟

إذن سوف يتركها لوحدة قاتلة خانقة ولحظات مرتجفة زائفة وذات جوفاء عائمة  
في فضاء أسود كالصمت المتوتر كالوجه الشرس بل هي كالجرح المتعفن كالألوان  
الشبهاء على وجه المدينة كدموع نماء أنهاكها التعب والضماء وثقل السنين .

ظلت كامل اليوم غارقة في بحر من الاضغاث المركبة ظلت تتأرجح بين واقع  
يصرخ مقنعا وبين إحساسا بالتكذيب ظليل ، أسكرها الألم وأقلقتها أصوات العرس  
المتواصله أليس بوسع هذا الكون أن يحس جروحها كانت أمها غارقة في موجة من

الاحتفال فقد ارتدت فستانا ادخرته للمناسبات الطارئة كذبت في اخفاء أزراره  
الصدئة ولونه الباهت وعلمت ما ألم بابنتها لرمت الفستان ولعنت العرس والأفراح ؟  
مرّ اليوم كنيبا شامساً (8) وحزيناً كالجمر لاذعا شمسه غائبة وسحابه غاضبا  
ومطره بخيلا وجروحه ليست تعد طلاس المت بها فعجزت عن فك رموزها ، أقلقها  
هوى المنزل زاد توترها وزينة أختها المبالغ فيها أقلقها الا تحس هذه المعنوية ؟  
ألم تلاحظ دمعة خفية من وراء الجفن أطلت ووجهاً شاحبا وخوفا عارما حينما  
جاءت تستأذن لتأخذ الحذاء والقرط المذهب ألم يخالجها الشك بأن أميمة تعاني ألما  
ألم تسأل عن برودها وصمتها الفجائي غريبة هذه الأخت !

جاء المساء ثقيلًا ودقت ودقت الساعة السابعة موعد وصول موكب العروس  
قفزت من صمتها وادعت اللامبالاة غيرت ملامحها وغطت شحوبها بحمرة خادعة  
ويسمة مشوهة بدم قلب أنهار كالصرح وذوى ، واسدلت شعرا فاحما طوقه  
الأسى تعطرت حاولت أن تتجاوز الألم ساعتها وتقتنع نفسها بأن تراه عريسا  
وتحتفل له إكراما ونيلًا .

إذن ستهذب مهنته متنازلة عن كرامة مهنته وكبرياء منشـرخ سارت في  
الطريق على اليمين علّه وعلى اليسار انكسار وحطام هي ذاهبة إليه وطيهـا أن  
ترسم الفرحة حتى ولو كان ذلك زورا وعليه أن يقتنع بأنها فرحت لأجله ومن يختار  
درب العشق عليه أن يكون وفيـا حتى ولو دمرت أحلامه .  
(9) - " نوالي أن أذهب لأراه "

دخلت أميمة العرس أضواءً مرعبةً وألواناً رائعةً غناء ورقص وضجيج وزغاريد  
تصم الأذان وعطر يتصّوع فيذهلها أخذت تنقل بصرها بين الحاضرين أحسّت  
بالغربة تفتّرسها استقبلها الكل بكل حفاوة وسرور تقدمت في اتجاه العروسين  
راسمةً بسمةً كاذبة رفعت بصرها أول ما نظرت إليه كان العريس اتسعت حدقات  
عينها حتى كادت أن تبتلع وجهها صعقت من هول ما ترى تمرجلت وجنتها فزعما ،  
تراه من أحبّت ذات يوم إذن صدعت حقيقته كان يكذب يعبث ويماطل لن تكن تدري

أنه كان يمثل نور العاشق وانتهى اليوم بإسدال الستار على العرض !

أخذت مقعدا بين الحاضرين وجلست قبالتها سأتحامل على نفسي وأرغم قلبي بالخضوع سأقبل حقيقتك يا حازم سأحضر عرسك الذي أخفيته عني تواضعا مني ونبلا ليس إكراما لك ولا خوفا أو قداسة واحتراما لا تستحقه بل لأنني أحبك !!

حدثت في وجهه حينما تقدمت مهنئة كست ملامحه مسحة من الوجوم والحيرة الخائفة يغييه الحدث يتكرر ويمسك رأسه بين يديه كأنه يخشى عليه الانفلات شيئا ما يحدث بين الأعين أحس بسؤال يضيق الخناق حوله لماذا فعلتها ؟

.. .. لم تستطع أن تخفي ارتباكها خرجت من الحفل مسرعة والدمع يلاحقها خرجت غاضبة صارخة لائمة معاتبة باكية شاكية ورافضة لمعنى الوجود داخل عالم من أحبيت ، لقد ظلت تقتل الزمن تيه وأرقا وتأمل في آل وسراب تصورت للحظة أنها وئدت تاريخ الدموع وزفراء اليأس لتعيش حاضرا الورد والأمل والأمنيات لقد تزوج فعلا وتركها تتخبط في أشلاء ذكراه المؤلمة كذبة هي أغرقتها وسحرا نفت في الكيان فدمرها شرخا شرخا ليس يبرأ وزج في القلب آلاف القنابل والخناجر الفاتكة قيدا لبيسته قائمة ودمعة رسمتها باسمه ، خرجت أمام منزله والتفتت إلى الوراء وتحدثت في هدوء :

- زواجاً سعيداً يا حبيبي اليوم أهديت خاتما واسما ولقبا وقلبا لامرأة سـوـاي اليوم نحت تاريخه بين ضلوعي وساعاته تدق داخل أعماقي ، لهجت (10) بعشقت وأدمنته كان حبك وعدا وتخليت عني اخترت غيري ولغظتني عنك كما يلغظ الماء جسما طريداً لأول مرة أحس بسهام الانهيار تنغرس بين أجنحتي لأول مرة أستفيق من حلم مذهل تنوقت طعمه فهلكني دفعنتي بكل جنون لأحبك وأدخلك لتعيش داخل أروقتي وأخفيك بين السجون أفرغت باراتي كل مشاعري واستنفذت قواي بدون مقابل منك سوى إحساسي بأنني أحبك وفجأة هويت خائفة ... لماذا اخترتها دوني لا تجيبني أعرف الرد لأنني غبية إذ قارمت برأسي وكنت الخاسرة .

رسمت فوق جبيني وصمة الخسران ورحلت والآن وداعاً يا حبيبي فقد احتدم

الليل والفراغ بخاطري فشدني الضنى إليك وإلى ذكرى قديمة أعدمها النسيان  
ذكرى باهته ستظل تعاودني كل ليلة محدثة في ارتجاجاً فتستهويني أغنيات حب  
قديمة فتضرم الحرائق في أروقتي تاكل من زماني فلا يبقى من أنقاضي سواك  
وسواك بلا مصير ولا يبقى في البال سوى أسئلة بالية لا تقوى على الصبر وداعا  
يا حبيبيا غرقت لأجله لج الهوى وما عرفت الانفلات هكذا تحدثت ليلتها عن علتها  
وعنه ودعته وحيدة وعادت تحمل خبيثتها وتكتم صرخة حارقة .

ذهبت إلى البيت غائبة عن الوجود ليست تفرق بين الكيان ولا العدم فتحت الباب  
دخلت غرفتها لبست ثوبا أبيض تمددت فوق الفراش اختضبت بالدمع ونامت عروساً  
حالة بعد أن تجرعت سماً فاتكاً كتمت صرختها أغمضت عينها جذبت الملاة  
غضت شفتيها صرّت أسنانها في حدة سال اللعاب من فيها تكوّرت ثننت مسكت  
شعرها جذبتة سحرت توهج القلب تحاملت جمعت شتاتها حاولت أن تقف تماسكت  
رفعت نفسها اصطدمت بالجدران فنقرها السرير ثلوث غثيان ألم بها أرادت أن  
تنقيا فلم تفلح شربت ماءً قضيت خبزاً تجرعت حليباً مسكت بطنها عرق يتصبب  
حرارة تتصاعد ووجع يمزقها ضربت فوق جبينها مسكت بالجدار خطت خطوة أولى  
في اتجاه الباب الخارجي خطوة أخرى وسقطت منهارة هادمة ساكنة باردة كالثلج  
غائمة كالضباب أومضت كالبرق ورحلت وكابل وتركها نامت في هدوء توقف النبض  
والعقل وتجمد الدم في العروق أضيأ حلت فوق كاهلها فاندست في التراب لتمحو  
ألمها وقد خذلها الزمن .

اخضل الليل ودامت المسارب منزعة وكلأ الخبر وجوه الغافلين فأرعبهم وسرى  
النبا بين خلجات الضفائر وكتب الجوى وهرع الصوت يسوقه صراخ ليس ينقطع  
١ معن ( 11 ) الدمع بين جفون المحتفلين واختنقت زفرة في صدور المارة غسقت  
( 12 ) عيون الساهرين فوق أرضفة الشقاء ، غرق الحي في صمت جارف  
وتحدث البحر عنها تحدثت المقابر والدنيا عن أسطورة حمقائه عن مهمة اختنقت  
عن شروق مقتضبٍ عن أميمة الكلّ تحدث ويكى التاريخ %



## حديث الألوان حديث الفن

مع الرسامة: سنية رواتبي دريج  
إعداد : مسعودة أبو بكر

تصوغ عالمها الخاص بغيّة التفرد في أفق الإبداع تتسج من رؤاها الخاصة بألوانها المنتقاة وقناعاتها الفنية فضاء الرموز رسلها الألوان والأشكال تعان فتنة الضوء واستكانة الظلال . تلك هي الرسامة « سنية رواتبي دريج » كان للإحاف مع الفنانة لقاء بمناسبة عرضها الأول وهو بنادي الطاهر الحداد الثقافي . من 14 جانفي حتى 10 فيفري 1995 .

\* \* \* \*

### بطاقة تعريف ثقافية:

- \* متحصلة على أستاذية الفنون التشكيلية اختصاص رسم زيتي وحفر 1990
- \* شاركت منذ 1987 في معارض جماعية بتونس رواق شيم - رواق يحي
- \* تحصّلت على جائزة الكريديف (مركز الدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة ) احتوى معرضها هذا على إحدى وعشرين لوحة وهي : انعكاس - تركيبة - زخارف هند سبة - فضاء - خارجي - الأجنحة - الثلاث درجات - طبيعة جامدة - الحي العتيق - أضواء هندسية - طبيعة جامدة (4 لوحات ) - بدون عنوان - الزاوية - الزقاق - ضباب - الأقواس - الحضبة - الباقة - السوق - الحي .
- « كيمياء شاعرية » كما قال عنها الأستاذ حمادي دليمي
- يبو جهد الرسامة واضحا في تخير الألوان حتى تكون بالإنساج الذي أرادت
- صاحبة الفرشاة رسولا للشكل .. وهذا الشكل نفسه لا يفتّح مغاليفه بسهولة ولا ينفرّ لاستعصائه المتلقي المشاهد بل يشده إلى حنين متخف فيه .
- حديث الألوان سولفاجا موسيقيا أخضع لترنيمة معينة .
- أبجدية خاصة لخطاب شعري أبق عن التفعيلة .
- اللون الأخضر يقتسم سيادة الحضور مع الأزرق في كلّ التدرّات ، يوحد معا أرضية ملكية لعرض الألوان الباستيل وألوان قوس قزح .

تقول سنية :

« الفن قضية جوهريّة في حياتي .. قضيتي الشخصية ... أحلم وأسعى أن أخدمها بكلّ ثقة وإصرار وقوّة إبداعية . أمام اللوحة أمارس حرية مطلقة ، أنسج حوارا ومنجاة خاصة مع القماشة وأعيش معها ألف مزاج ولا أثبت على وتيرة واحدة ، فكم يحدث أن أخذ اللوحة بعد إنجازها وأرسل عليها الماء لتبرز القماشة من جديد فارغة خاوية متهيأة في صبر وصمت لرحلة أشكال وألوان جديدة أبحث دائما عن التجدد والإضافة .

من الرسّامين العالميين الذين تأثرت بهم : « جورج براك » إنّه من بين الرسّامين التكعيبيين الذين أثرت في لوحاته ، هناك قوّة في أعماله أحاول الإقتداء بها . أمّا عن تعدّد الألوان في مواضيعي المرسومة فتفسيره أنني لا أقبل أن أسجن في لون واحد والشوط بالنسبة لي ما زال طويلا ... لست راضية عن هذا العطاء أحلم بعباء أكثر وأعمق .

كما أحلم بإطار نفسي أرقى يجمع بيننا نحن الفنانين التشكيليين كي يكون



هناك فضاء حقّ للتنافس الخصب البناء ... وتعاون في التشاور والأخذ بالرأي المقابل لتصفّل الموهبة أكثر فاكثّر والخروج عن قوقعة الإنزواء .

إنّ الإنعزالية لا تخدم الفنّ والتجدد في شيء .»

هذه إذن الرسّامة سنية رواتبي دريج في إطلالة خفيفة ومساهمة في التعريف بفنانينا التشكيليين كما دأبت على ذلك مجلة الإتحاف .

# الحرية والتحرر في الأدب العصامي :

## قراءة في الدورة الثانية للملتقى الوطني

### للأدباء العصامين

بقلم : بلهوان حمدي

**من أهداف الملتقى :** يحدّد أعضاء نادي الإبداع الأدبي في سوسة غايات تأسيس مثل هذا الفعل الثقافي الواعي كما يلي : « لما كان الحفر في المفهوم محاولة إعادة صياغته وفق ما يحمله الواقع من تغيّرات تثبتنا لكيونة الإنسان ... فإن هاجس نادي الإبداع الأدبي بسوسة انكبّ أساسا على إعادة النباش في بعض المفاهيم التي أصبحت من قبيل البديهيات ... وأولها مفهوم العصامية » .

فهل ما زلنا نتحدّث عن أدباء عصامين وغير عصامين أو هل يوجد أديب أكاديمي ، من أجل ذلك قام نادي الإبداع بدعوة بعض المثقفين بهذه المسألة والمبدعين لعلّه ينباش الغبار عن هذا المفهوم

**المكان :** حضر موت أو سوسة الجميلة تترامى متكاسلة وتولّي وجهها صوب البحر وزرقة المدى . هنا وهناك هناك ..

المركز الثقافي الكبير بالعاملين بالساعد والفكر وشرابين القلب من أجل أن يؤسّس لثقافة جديدة تضيف وتثري . ثقافة تؤمن بالاختلاف كما الائتلاف ولا تلغي الجمال والوجدان وتصلّي للعقل والعمل .

ونادي الإبداع الأدبي الذي ينشط في هذا المركز العظيم الذي يديره بحكمة الأستاذ لسعد سعيد هو دينامي الملتقى ومؤسّسه .

**الانطلاقة :** كانت يوم الجمعة 20 جانفي صباحا حيث افتتح السيد معتمد سوسة المدينة والمندوب الجهوي للثقافة السيد محمد العابد فعاليات الملتقى داعيين إلى استمرارها ومشيدين بتميزها وجدتها .

من داخل القضية : اختار النادي محور « التحرر والحرية في الأدب العصامي



« واندرجت بعض الورقات في هذا السياق .

أ - « التحرر في كتابات البشير خريف » وقد ألقاها الأستاذ عبد المجيد النفزي : بدأ بالقول والتأكيد على أن كل أديب عصامي بالضرورة ، فالعصامية هي خروج عن النسق السلطوي بتمظهراته المختلفة : السياسي الاجتماعي العقائدي ، والكتابة العصامية تقطع مع النمذجة والنموذج المسبق تحصيلاً وإبداعاً ، لذلك يقر بأن العصامية موازية للحرية والعصامي هو ذلك الأديب الإشكالي الذي يعيش خارج السرب ، فكتابة الرواية هو يحد ذاته عمل تحرري إضافة لسيرة الروائي البشير خريف الذي عاش خارج السلطة الاستعمارية والوطنية ونشأ في غير ديمقراطية لكنه تجاوز مؤسسة الأسرة والعرف التقليدية والمتكسبة ، وقد تناول ذلك من خلال رواياته الأربع مستنتجاً أن البشير خريف رصد أديباً المؤسسات القديمة التقليدية وكانت مضامين كتاباته قلقاً واعية بالاستبداد المتعدد الأشكال :

- المؤسسات الاجتماعية تلغي الفرد .

- الأنظمة الطبقية تكرس التفاضلية

- شركة الفساد حيث يتجلى الصراع والنضال النقابي

- الوضع البشري يسحق ويسخر من المختلف لونا أو المصاب بعاهة .

« فخليفة الأقرع » في « مشموم الفل » خادم وأضحوكة وكائن في مرتبة الحيوان تزهد فيه النساء ومأجور تابع لسيده ، لكنه يجهد لاثبات ذاته داخلياً بخرق جدار التحريم وخارجياً بالهيمنة . هو إذا يتحول من تابع مأمور إلى كائن آخر مانع بفعل قحوته التي نفيت من قبل .

أماً « برق الليل » فهو يتراوح أيضاً بين وضع متردد تدلّ عليه النزعة العلامية التالية : الزنجي - العبد - الشوشان - الأسود ووضع يناقضه تعلنه التعبيرات التالية في المتن الروائي : الشاب - الرجل - السيد - البطل التونسي « اللّبي فسّد الوادة » .

ويتجلى المسار التحرري لشخصية « برق الليل » فيما يلي : تيّاس طرف في عقد الزواج - عملي في أنواره - الانتصار على خصومه بتسميم ماء البئر ومخادعة

مالكة - محبة صاحبة الوجه الجميل - كفايته الجنسية العالية .... وهو بذلك يهيء أسباب عتقه ويرتحل في نهاية الرواية .

فخليفة الأقرع ويرق الليل بطلان يكرّسان القيم الفردية للحرية والتحرر من الهياكل المعيقة للفكر والجسد .

ب - « الرواية السيرة : طنجة في زمن الأخطاء لمحمد شكري »  
وقدمها الأستاذ الشاعر المنصف الوهابي ، ويمكن اختزالها في أفكار عامة لأن المحاضرة تميزت بالاختصار والتركيز :

\* اللعبة السردية مضطربة ومترواحة بين الرواية والسيرة . هي رواية داخل السيرة أي سيرة روائية .

\* محكي السارد يرافق محكي الكاتب في تداخل وتقاطع .

\* « طنجة في زمن الأخطاء » هي اكتناه لحاضر من خلال زمن مرجعي .

وما السيرة في الرواية سوى مادة أولية أو حوادث تستعاد كالخلق .

\* إن الرواية تبني دائما على لعبة ملتبسة بين ذات الكاتب وذات السارد لكن الابداع القصصي مذهش .

وفي النقاش الثري اتضح معالم الكاتب محمد شكري الإنسان خاصة بواسطة الأستاذ الهادي خليل . فالرجل تعلم القراءة والكتابة بعد مجاوزة سن العشرين وعاش العالم « السفلي » وقاع المجتمع : المتسول - المومس - اللصوص و « الباندية » والهامشين والمهمشين ، أخطاؤه في « زمن الأخطاء » كالحقائق في الخبز الحافي .

لا كاتب في جرأة محمد شكري ، هي جرأة تحمل على غير محلها قد تكون للشهرة والدعاية والاستفزاز .

ج - « السلطان والجسد في الزيني بركات » لجمال الغيطاني وقد عرضها عضو في نادي الابداع الأدبي بسوسة جميل بن علي بكل صرامة ومقدرة علمية وأكاديمية .

\* السلطان : جسده - عدده - فضاؤه .

فأما جسده فهو : لسان طويل قادر على الاقتناع يمارس خطابين الترغيب

والترهيب / اللطف والعنف من أجل تمرير مشروعه الثقافي وذاكرة قوية لا تبلى ولا يداخلها النسيان مفارقة للزمن ، فهو متميز الزينة ( حرير ، الفضة ، الموكب ، الهاتف ) « كان السلطان راكباً على فرس أشقر عارٍ » ، يموت ولا يفنى ولا يمسه ألم .

وأما عدده فهو واحد ، السلطان واحد ، السلطان واحد وليس وحيداً لأنه متعدد بانصاره .

فضاء السلطان : يفضل خصائصه الجسدية من تمطط ومرونة فيمكنه الانتشار في كل الفضاءات ، يقيم في قصر شاسع ، وهو يقيم في أكثر من مكان « لأن وجهه لم يره انسان » .

أمر السلطان في « زيني بركات » غريب لأنه لا يستقر في مكان ويختزل المسافات .

\* **الجسد** : هو عنصر يشد الروح ويثقلها حسب المفهوم القديم وعامل انطلاق وتحرك في المنظور الفلسفي المعاصر بما هو جزء من الذات الانسانية .

وقد احتفل الروائي جمال الفيثاني في روايته بالجسد في ملفوظه الحكائي :

الجسد = فتنة وغواية وجمال في مستوى التصور والممارسة .

الجسد = عبادة وقدسية « سماح لا تقطف ، لا تترك ، لا توصف » « سماح خلاصة نساء الأرض أجمعين » هكذا يقول سعيد الجهيني .

الجسد = قضحية : وتصور المنظومة اللاهوتية الحاضرة حضوراً مكثفاً .

\* **الجسد** : الضحية : ويتجلى في تصرف السلطان مع الجسد « دهنوا باطن قدمه بماء ودهن ... وسكبوا على وجهه ماء بارداً . »

وخلص في نهاية البحث إلى استنتاج غاية في الأهمية والعمق : لا يمكن أن يوجد ابداع في غياب السلطة والسلطان بما أن الابداع تجاوز حرية لا تهدى ولا توهب بل تنتزع انتزاعاً .

د - « علاء المجانين في حدّهم وهزلهم » للدكتور نور الدين صمود

استهل المحاضر مداخلته بكلمة بليغة « تخرّج على يديك وتكوّن على نفسك وكن عصامياً »

عرّف الشاعر المجانين وأنواعهم ، فهم مجانين خلقة أو بصفة طارئة وذلك بسبب مرض أو حبّ أو فقد عزيز ...

وللمجنون أسماء ودرجات فهناك المخبل والمختبل والمسوس والوهل والمعتوه والأولق ... وقد كان الصباح مليحاً مع عرض نوادر بعض الحمقى الأذكياء يجمعون بين الطرافة والطرف وكثير من العقل .

\* أبو العير : وهو من أسرة الأمراء لكنّه تحامق وسئل : « الضبّي معرفة أو نكرة ؟ » قال : « إذا كان مشوياً فهو معرفة وإذا كان في البداء فهو نكرة » وقال هذا الأحقق أيضاً : « وما أقلّ أن تجد في 100 يهودي مسلماً واحداً » .  
وذهب يوماً يخطب فتاة فآلقى خطبة عجيبة في مضمونها حيث قال فيها « الحمد لله المفرّق بين الأحبة والمعيدهم للتربة ... وأشهد أنّ كلّ شيء زائل . وأعلم أنّ أبغض الحلال عند الله الطلاق ... واستبدلوا بهنّ كلّ حول مرتين ... واضربوهنّ في المضاجع ... ودخل أخيراً في موضوع الخطبة »

#### هـ- «مصادر المعرفة في الأدب العصامي» للأستاذ الأزهر النفطي

أولاً لا بدّ أن نؤكد أنّ هذا الرجل من أكبر العارفين والدارسين بحثاً وحفراً في نصوص الأدباء الناشئين واهتمامه ليس ذلك الجري والهات وراء النصوص للملء فراغ مفزع في صحيفة أو برنامج إذاعي .

إنّما الأستاذ النفطي يولي المسألة أهمية ويجهد نفسه من أجل الغور في تلك الإبداعات وقراءتها بعمق وتروّ . ويرى أنّ الكاتب الناشئ يريد أن يحقّق ذاته من خلال كتاباته . ومصادره هي أولاً الحياة ومعاناته اليومية فالعصامي يبحث عن المعرفة في الصحف والمجلّات والكتب والإذاعات وتناول نماذج من الشعر والقصة لأدباء مبتدئين نسبياً وهم : رحيم الجماعي في الشعر ومسعودة أبو بكر وجنّات اسماعيل في القصة . وحاول البحث عن مكان الإبداع والافتقار في هذه النماذج .  
ويأيمان عميق وصادق يرمي الأستاذ النفطي الحجر للنقاد للقيام بواجب الفرز والفريلة والتوجيه والتشجيع . فالتراكم الكمّي الهائل لا يفرز أدباً جيّداً ما دام الفرز النقدي المتأنيّ لم يفعل فعله .

وتخلّل الملتقى قراءة شعرية أولى ساهم فيها المشاركون في الحفل الثقافي :

أُنشد الشاعر فؤاد الحمدي « اعترافات » والعجمي « هواجس » والعربي الكافي « استحالات العشق الأوّل » ومجتون غادة « احترافات البعد الأخير »  
أما الأمسية الثانية التي نشطها بامتياز الشاعر الصديق معز العكايشي . وقد كانت أرقى وأفضل من الأولى لتجربة المشاركين فيها :

\* بلقاسم بن سعيد : « تغريبة ملك الرذاذ »

كان يفتش / هذا غبي الطباع / غريباً يصوغ الأناشيد . تعبت من السعي خلف خطاه

\* عبد الله مالك القاسمي : ما زال يصرّ أن « هذه الجثة لي » رغم تبنيها من قبل معزّ العكايشي . لكنّ « الجثة » تنضح حياة كمن ينهض من كومة رماد جمرة متلاثلة رحيلا : « ما زال يرحل في العراء والتعب ما زال يسأل عن خطي الريح ويسأل عن قصب »

\* محمد العموني : « فزاعة الموتى ، جلابة الفأر » : كان للبدء في قصيدته طعم مرّ كالسكر :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrii>

أبدأ من حلق يصحو ويفيق  
أبدأ من شجر الوقت الواقف في شجر الرّيح  
لم أبدأ بعد / ولكنني في كلّ اللحظات سأبدأ  
\* معزّ العكايشي : شاعر ورجل قانون . يتحدّ في قصيدته القانون الدولي

بالقانون التخيلي :

أنا سيّد القادمين

يحدث أن تسقط الرّيح تحتي

ونقرأ في قصيدة « عذاب الله » :

ضاعت بي الدّول

صدري شراع للرّياح / وقلبي طائر

شابت خطاي / وشابت الدّول

من الذي سيعيد ظلي

صنعتُ قوساً للرياح والجراح  
خانتك الوقتُ الرديءُ  
أه . يا بلادا لا ترد النهد على أحد  
لولا أنا ما جنَّ ليل  
أو طلع في السماء قمرٌ

وفي الختام تلبث لجنة القراءات تقريرها الذي اهتمّ بنصوص شاركت في  
مسابقة النوادي الأدبية فلا حظت ما يلي : في مجال الدراسات تسرّع ووثوق  
مبالغ فيه يصل إلى مستوى الارتجال والمقال الصحفي الساذج إضافة إلى عدم  
ضبط المراجع والإحالات .

أمّا في القصّة فقد ارتأى الأستاذ الهادي خليل - وهو محق - أن النصوص  
بسيطة لا تفي بشروط الكتابة القصصية .

وفي خصوص الشعر لوحظ جلياً تفاوت المستويات تفاوتاً مفرزاً وقد انقذ  
الموقف نادي الشعر بجنوبية .



- |  |                        |
|--|------------------------|
| – الجسد في علم النفس .....                       | محمد الكشبري           |
| – رسالة المعاش والمعاد للجاحظ .....              | عادل عبد القوي         |
| – مفهوم الحتمية ودوره في البناء العلمي .....     | عبد الوهاب عبود        |
| – المؤتمر الأفخارستي بتونس حملة صليبية عليها ..  | محمد الصادق عبد اللطيف |
| – عبد القادر الهاني وكتابه : صفحات من تاريخ      |                        |
| سليانة الحديث .....                              | محمد العياشي طاع الله  |
| – قراءة لمجموعة الهادي العبدلي : طقوس الشك ..... | عبد الرزاق محمدي       |

## الأقلام الواعدة

يشرف عليها : الأستاذ عبد المجيد زين العابدين

يحسب البعض أنّ قدراته في مجال معيّن دون غيره إلا أنّ الزمان والتجارب وانطباعات الغير قد تثبت له غير ذلك وتكشف له عن قدرات له في غير ما يدعي الانتساب إليه أو الاختصاص فيه .

من الشبان من يقرض الشعر إلا أنّه في الحقيقة أقدر على ممارسة الأعمال القصصية أو الروائية . وتراه أحيانا يفاجئك أثناءها بعمل قصصي أو خاطرة فتلاحظ جلياً علامات النضج والافتقار فيما فاجأك به ، فتقول حينئذ ليته يتبع هذا المجال ويدع المجال الذي رأيته به مولعا في غير ما علامات تحسن وتطور . هذا ما أستشفه من عدة أعمال أدبية يتقدم بها إلينا ثلّة من الشباب في صفوف الذكور والإناث كل رجائي أن يتحسّن هؤلاء الأعزّاء المولعون بالكتابة مواطن قدراتهم وذلك لا يتسنى إلا بإرسالها إلى هذا الركن أو بطرحها على أنظار ذوي الاقتدار . فيقع توجيههم التاب المتين

\* إلى الأنسة المهذبة فاتن الراحي أصيلة سليانة :

إنّ كتابة الخاطرة ليست من الأعمال العفوية اليسيرة كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، وليست في متناول كل من يرغب فيها ، إذ أنّها تقتضي فيما تقتضيه إضافة إلى متانة اللغة واستقامتها سلامة لغوية واستطرادات متماسكة تضيف على النصّ نكهة وطعما خاصا . ومثل هذا الموضوع الذي تناولته وهو : " الابتسامة " باعتبار مالها من الأبعاد في حياتنا اليومية غير يسير بالمرّة خاصة على الذين هم في بداية مسيرتهم الأدبية ، ذلك أن الابتسامة أو الابتسام ظاهرة نفسانية وجسمية تنمّ بالأساس عن أغوار الإنسان وأفكاره وتدل على شخصيته وترقى إلى الربط بين عالمه الباطني وعالمه الخارجي المحيط به . ولقد اقتحمت أبهى الصديقة فاتن هذه التجربة بنجاح نسبي كان يمكن أن يرتفع إلى درجة التمام لو لا بعض التعثرات اللغوية وعدم متانة الربط بين الجمل في بعض المواطن .

أنصحك بقراءة ما أتيح لك من نصوص الجاحظ هذا وإني أنشر لك هذه الخاطرة منقّحة .

— الابتسامة —

الابتسامة أمر يسير على كل فرد ، ولا تكلف صاحبها لا مالأولا أتعابا ولا

جهداً بيد أنه رغم يسرها فكثيراً ما يحجبها البعض ويخل بها على من يتعامل معهم سواء في المصنع أو المتجر أو المؤسسة بسمة خفيفة تمنح صاحبها حسن القبول والترحاب من الآخرين وتساهم في قضاء المصالح والحاجات ، وبسمة أثرها أفضل من ألف دواء تعيد للمريض صحته وعافيته وتغنيه عن أي علاج ، وبسمة بسيطة يسترد بها صاحب الحق حقه دون لجوء إلى محاكم وإجراءاتها ومتاعبها ، وكذا ابتسامة منك أيها الأب الرحيم تبعث في ابنك الشجاعة وتشجذ عزيمته وابتسامة منك أيها الابن البار تقوي ثقة والديك فيك وفي الحياة والأحياء وتفتح لهما فيها باب التفاؤل والأمل على مصراعيه .

البسمة أيها الناس يجب أن تكون شعار المرفوع بيننا أبداً وحيثما كنا .

\* إلى الأنسة سعيدة الشعلي :

آيتها الأنسة المهذبة سعيدة ، قصيدتك الممهورة بعنوان : « من أكون » محملة بشحنة من المعاني الوطنية والعربية النبيلة ولغتها تستقيم حيناً وأخرى تتعثر إلا أنها تدل عموماً على أن مجال التحسن والتطور في قرض الشعر بإمكانك قادماً إن أنت أردت ذلك ورغبت فيه بصدق . أنشر لك المقطع الأول من هذه القصيدة بعد تنقيحه :

— من أكون —

<http://Archivebeta.Sakhr.it>

يسألني من أكون ؟

بم أجيب ؟ وماذا أقول ؟

غير أنني عربي ؟

والحمى اسمي ؟

فيما مضى كان ؟

وغدا يكون ؟

\* إلى الطالبة بكلية الأسنان الصديقة الرقيقة دلندة الهدياوي .

آيتها الصديقة دلندة ما أنشره لك في هذا الحيز لا يتمثل في إحدى محاولتك الشعرية وليس هو أيضاً من قبيل المحاولات في المجال القصصي أو الروائي ، إنما هو أقرب إلى الخاطرة ، أو قولتي إنه خاطرة تحلق بقارئها في فضاء الوجدان والأحاسيس الرقيقة المرهفة جداً . هي إذن هديتك إلى مجلة الاتحاد أنشرها لك هذه المرة ليس لما تشتمل عليه من الاطراء للمجلة ومضامينها القيمة وإنما لما تدل عليه من مواطن اقتدارك على الكتابة الكامنة فيك والتي لم يسبق أن عرفت بها .

— هدية إلى مجلة الاتحاد —



همسة ، أم ابتسامه أم حديث دون مقدمات ، ها أنك تليّن دعوتي  
برحابة جنونية ، فهل أتودّد إليك لأحتلّ مكانا بين السّطور أم يكفّيك  
حواري .

صديقتي الوفية ، لقد حيرني أمرك ولم أعد أقدر على فراقك أتذكرين  
كم ردّدنا أشعارا وعزفنا على لحنها سنفونيات الأمل والبقاء ، أتذكرين كم  
تجوّلنا بين فسيفساء التّصوص واجتثنا أرقى المعاني ، أم تريدن أن نتجاوز  
كما فعلنا سابقا ونثير نقاشا ونقدا ووصفا جميلا ، أشكرك لأنك قنوعة  
رغم أنك ثرية ، أشكر كرمك وعطاءك السخي .

فهل لي أن أرقص على غناء صفحائك الجميلة أم أمذك بأفكاري  
وأسقيك جميل الكلام ماذا ؟ هذا لا يكفي عذرا كدت أنسى أن فحوى  
الكلام من أهمّ الذخائر لديك وهو يسبق الحلية التي ألبسها إيّاه . هذا رائع  
، سأكون أمتك المطبعة ، كيف لا وأنا أيسرّتك في وحدتي وفي ضجري ،  
لا تكوني طيفا في الأحلام ، بل ظلّي في اليقظة تحلو لي مؤانستك  
ومجالستك أينما كنت ومتى أردت .

فمعاً سنجلس على عرش الإخلاص والوفاء ومعاً سنبعث روح التواصل  
فأتوجّك بأشعاري وأفكاري وتهديتي حبك وأحضانك .

\* إلى الأنسة المهذبة بسمة العماري  
شكراً أيتها الصديقة بسمة على رسالتك الرقيقة التي نسمّ عن مدي وعيك  
برسالتك الأدبية وما قد تقتضيه منك من معاناة وإجهد ومن حزم ودأب  
واستمرار على الاجتهاد حتّى تصبح واضحة ناصعة ، وشكراً لك على  
حسن الاستماع إلى النصائح التي نوجهها إليك في هذا الركن الأدبي ،  
وإني بعد أن أنصحك ثانية بالاكثار من مطالعة الأشعار قديمها وحديثها أنشر  
لك نصك المهور بعنوان " رسالة حب " بعد تهذيبه وتنقيحه .

### — رسالة حب —

حبيبتي ...

تعالني نرقص على دقات قلبي

تعالني ننشد أغنية الحب

تعالني نغرق في بحر الغرام

تعالني ولا تخشي من الغرق

\*\*\*\*\*

تعالني فأنا أغرق في بحر عينيك ...

تعالى حبيبتى لأسفليك من نبع فؤادى  
تعالى حبيبتى لأضملك إلى صدرى  
تعالى نغرق فى بحر من الحب  
ولا تخشى من الغرق  
\*\*\*\*\*

تعالى لنصنع من قلبينا  
شمعتين مضيئتين  
فتصنع الحياة ونبعث الوجود  
تعالى حبيبتى ولا تخشى من الغرق  
\* إلى الأنسة الرقيقة صالحة البجاوي تيار .

إن نصك الشعري الممهور بعنوان : « عبور » بإمكانك التحسن والرقى  
إلى مستوى الكتابة الرفيعة إلا أن ذلك يقتضى منك الاكثار من القراءة  
والكتابة ، أنشر لك نصك الممهور بعنوان : « عبور » من باب التشجيع  
والتفاؤل لك بمستقبل أدبي مشرق وإنني أنتظر منك أن تمدينا بجملته من  
أعمالك الجديدة قادما ورجائي أن تكون داعية إلى التفاؤل والحب والبناء  
والتأسيس .

ARCHIVE

خلوني لا تسألوا عني عندما أوقفته  
لقد كوت الالام شعري  
دعوه اليوم  
على باب من لا ترحم  
\*\*\*\*

دعوني اليوم  
ولتكثر جروحي  
فيا عين لا تبكي  
لبكائه لا تحزنوا  
\*\*\*\*

أنا من قلد شعري الاحزان  
عندما أجبرته  
على غير ما يجب  
ويعشق ...  
أنا من أطعم حسي الأوجاع  
ويا نفس لا تنوحى  
فأنت الذنب  
وأنت المذنب  
وأنت سبب كل القروح  
فلم البكاء ؟؟؟

\* وإلى اللقاء أيها الأعزاء فى عدد قادم من ركنكم هذا ، والسلام .



## الحُبُّ والذِّيارَاتُ والفَرُّ

بقلم : جمال الشراي

وسافرتُ لكِ هذا المساءُ صديقتي وفاجأتكِ بالزيارة والحضور وفاجأتني بالصمت وبالذهول لحظةَ الإلتقاء .

إلتقينا إِنْ بعد طول تنائي ووقفنا كطفلين صغيرين للغروب وتناجينا طويلاً وتحاكينا طويلاً وتساألنا طويلاً وبَعدها تركتكم ورجعتُ .  
تركتكم ورجعتُ بذاكرةِ السَّفَرِ وذاكرةِ اللقاء وذاكرةِ اللقاء وذكراه . حلَّوْهُ هو اللقاء تعقبه مرارة الإستمعار في المكان الغريب كم كان المكان غريباً ... ذاك المكان كم كان غريباً .

تلك البقعة الصغرى قرية تتوسد سفح الجبل وتقام على الذكريات .  
هنا كان الأباطرة القدامى ينامون في حضن الغواني متخمرين ويسهرون على وقع السياط تجلد ظهور الثائرين وتظهر الخدم والعبيد .  
هناك البلاطات ما زالت بقاياها تروي ذاكرةً شريفةً وأحزانٍ عن الذي فات .  
تلك القرية الطللية تحمل شيئاً من مرارة ذاكرتي وأضفتُم بِلِقائِي بكم فيها ذكرى حزينةً أخرى .

كلامكم ذاك المساء أوجعني فقد كان مزيجاً من الفرحة والشعور بالغربة . ما كان في نيتي أبداً أن أشعركم بالغربة في عَمْرٍ غريبتكم .

للغربة دائماً وقع شديد ووجع جديد حتى ولو كان إغتراباً من أجل النعيم .

قال الأول : كم فرحتُ بكِ ففبكِ رائجُ البلدِ

وقالت الأخرى : وفبكِ شيء من الحيِّ حياً هنا ويحيي بأعماقي حنيني للألم الحنون وللصَّبَايا نديداتي وللِقِفَارِ يقابل الدار ويجعلها تتلمح الأفق في إنسراح .

أُمِّي هي الآن وحدها تُرى ماذا هي الآن فاعلةٌ نون طفلتها . هذا الآن موعد العشاء فكيف تراها تعدّه نون طفلتها .

نبقى دائما أطفالاً في أعين من أنجبونا ..

نبقى دائما أطفالاً في أعين الأمهات ولا نكبر ...

الأم دائما تحفظنا صِغَاراً حتى لا نكبر ... هي تريدنا لا نكبر لنظل في حضنها وتحت رموش عينيها .

الأم دائما دعوتنا التي تصاحبنا صِبَاحاً وتبتعنا تَبَاعاً في المساء وفي الغسق ...  
الأم صلواتها دائما في هيكل الرب إبتغاء رضائه عنا أما هي فقد رضت وسحبت لنا الجنة من تحت أقدامها وقدمتها لنا في طبقٍ من دعاويها ورضائها عنا .

صديقتي : كنت أُلح في عينيك دمعاً منعه من التجلي وغالبته حتى غلبَ على أمره فابستحال كلاماً متقطعاً وذهولاً في الحضور وكنت غائبة بالحضور ولكنك فرحت ... نعم لقد فرحت جداً بي فقد كنت أحمل في حلولي بينكم بقايا الحيّ بصيفه الحار وأحلامه السكرى ... للصيف في ذاك الحيّ المتطرف طرف من الأحلام والدفء ... يختزن السواد ويقرق في الفلاة وفي الأفق الممتد نون حدود تحنوه شجيرات الشوك والضبّار والوادي الكبير <http://www.archive.org>

الوادي ذاك يذكرني بالواد الكبير في الأندلس أيام كان المسلمون وبوادي الحجارة (GUADA LAKHARA) ومناخات العرب أيام كانوا فاتحين وناطقين باسم الله والدين والآن تركوا الله والدين فتركهم الله ومناع منهم الدهين إلى يوم الدين ... وقتها كان العرب يناخون بالإبل وبالقوافل في رحلة الشتاء ورحلة الصيف وإيلاف المناخ في الروابي الخابية والينابيع .

ذاك المغرب كنت واقفاً معكم أتلحّ في كلّ واحد منكم شيئاً يداريه عني وعن الآخرين ويداري معه ضعفه وبعض النقاط ...

جلال كان بودي أن لا أحفظ اسمه وكم تناسيته في البداية للإسم في ذاكرتي وقع أليم ... فهناك كم التقيت صديقاً جليلاً ورائعاً غير أن سفره بعد اللقاء لم يعد بعده أما أنت فكان الحنين بعينيك مثل الدوائر وكان الكلام على شفقتك شديداً وحائر وصديقتي الأخرى كانت ذاهلة حيناً بالذكرى وحيناً تفتش في حضوري هناك عن

بقايا الأم والأسرة البعيدة وما كان بإمكانني غير أن أضيف لها على حزنها حزناً  
وحينئذ ...

تلك القرية المتدثرة بردائها الأغبر توحى بالغربة والإنفراد هي أشبه ما تكون  
بغرفة إنفرادية في إحدى سجون المستبدين من ملوك القرن السادس عشره  
للميلاد وهي أصدق تريض وأنجع إجازة تقومون بها إستعدادا للروابي والغفر في  
الريف والظل الممتد ذلاً من الخريف إلى الخريف .

الصعود إلي قريتك قلعتكم المتحصنة بالجبل يذكرني بما قرأته في كتب  
جرجي زيدان عن الطلوع إلى الأديرة المنتصبة براهيبها في أعالي الجبال فذكرت  
سقر قريش وعبد الرحمان الداخل وفتاة غسان وفتح الأندلس واستبداد الماليك  
وفتاة غرناطة وكثيرا من حكايا العشاق البريء الذي لم تدنس الحضارة الحاضرة  
، ذكرت كل ذلك وكانت حياتي مطالعة قصص أمّا الآن فحياتي في حد ذاتها  
قصص أخرى من الأحزان والفوضى ...

كنت وأنا صاعد لها أتمثل نفسي شاعرا يذهب لراهبة الدير يشكو لها وزره  
وهوموه وهيامه ويسألها تذكرة الفجران وتأشيرة السفر إلى الجنة ...  
ذاك الدير الذي أنتم فيه لا يصلح إلا لزاهد ولا يصلح إلا لرهبان ونسك .  
يأتي الشتاء على الدير البعيد والطقس ينبأ بالصقيع وبالجليد . الطقس هذا  
العام ينبئ بالثلوج تساقط دون فتى وتحاصر العصافير الصغيرة الحلوة ...  
كانون جاء بقره وليالي أذار طويلة جداً وطويل جداليل الغرباء والأهل هناك لا حس  
ولا خبر والأم نامت ... أتراها قد نامت وأنا هنا وحدي ألوك الذكريات .  
في الشتاء الفارط كنت جنبها وكنت أهيء نفسي لامتحانات آخر العام وكم كانت  
أحلامي شاسعة وبلا حدود .

كنت مع الصديقات نسهر الليل ونعدّ الدرس بين غرور المتنبي وكبريائه الكاذبة  
التي جعل منها الدارسون أنفة وبين زهد المعري وخياله الواهم وكنت أتألم لأوديب  
يحبّ جوكتا ويعيش محنته داخل شعبه المنكوب بالطاعون قبل أن ينهار عليهم  
سد الحقيقة المرة .

تلك الليالي كنّا نقضيها رائعة قصيرة لنفترق بعدها على أمل اللقاء ولكن

الآن نفترق بلا أمل اللقاء فالحياة بعدها ستحيلنا على دروب متقاطعة لا نجتمع فيها إلا لنفترق من جديد ...

غريبة هي هذه الحياة وأغرب منها هذه الدنيا وأيامها الغروب ...  
لم يطل اللقاء وترككم ليل وللقاء الذي أقل سريعا وأسرعت إلى سرّة البلد هناك  
الشعر ينتظر .

لقائي بك ألهمني شعرا آخر وألهمني نفسا آخر .  
ورجعت من عنديكم .

تصوّري غريبا يعود من غربته إلى غربته الغرفة الغارقة في الظلام ولا أخت ولا  
خلّ لا أم غير الظلام ولا حبيب ، سوى الأحزان والمواويل الكئيبة .  
تطوي السيارة في السفر الطريق المسافر للديار وأستعيد أثناء الطريق أحداث  
اللقاء والدير الذي تديره الغرباء وعبر الذكرى يثبّق الشعر وتثبّق الخواطر المرّة  
وأذكركم.

جلال ... ذكرني ذاك الطّفل مجبل الرّاعي ... جبل كان قبلتي في الطفولة فقد كان  
شامخا ويظل ... كنت أقوم صباحا وأزمي بالبصر بعيدا فيصطدم به ... سألت أبي  
عنه فقال ذاك هو كاف الرّاعي <http://Archivebeta.Sakhril.com>

جبل الرّاعي له جلالته لدى جبل النضال ... جدّي يعرف هذا جيّدا فلقد عُدّب  
فيه لما كان معلّما ها هناك وعلّق من إبهام اليسار وإصبع القدم المتورّم ... أمّي  
كانت غرة ولكنّها تذكر ذلك جيّدا وهي الآن تروي كيف كان إصبعه يلّ متورّما لشهور  
عديدة فكم علّق المستعمر الغاشم في آخر الشاحنة العسكرية .

جدّي هذا رحمه الله علّمني أحد قصائد الغزل ومات رحمه الله جدّي فقد كان نبيا  
في الجهة الجميلة bella regia vella bella region

هكذا تبدو لي التسمية ، وفي المنطقة الجميلة لم أجد شيئا جميلا سواكم .  
أشهد أنها صارت جميلة ... بالمصاييح التي ستثير دروب أجيال قادمة صارت  
تلك الجبّانة جميلة. والجبّانة لغة هي الصحراء المخيفة والخلاء الذي يدعو إلى الجبن  
والخوف وأحيانا تصبح الصحراء والمغازات رائقة وأمينّة حين ننيرها بالقناديل وأنت  
وأنتم أصدقائي قناديل رائعة فطوب لهذا البلد الجميل بكم . وإنسي أجلكم .

إني أحبكم وأحب الناس في بلدي يبكون النور في البلد ويطاردون فيه أشباح الظلام والجهل ويحاصرون الديجور داخل غياهبه وسراييه العميقة .

في ذاك الممكن إستحضرت أكثر من صورة صوّرها لي جديّ عن الثّوار داخل خنادقهم في جبل الراعي وجبل سيدي علي والجبل الأحمر وجبل مغيلة هذه الأسماء لا تعرفونها لكن المجد يعرفها فقد رابط فيها طويلاً ...

في ذاك الخندق رأيتمكم ثوّارا على الجهل فوددت لو أقبلكم جميعاً قبلت قبلةً والأولى أطول وأعمق ... أطيع على جباهكم شالاً من الفخر وأشدّ على أياديكم أعاهدكم على الوفاء وأخذ منكم عهداً على الإخلاص للنّشء تعلموه بصديق وتغان ولا تنتظروا من أوليائه الفقراء فلساً وأظل أحبكم فأننا أحبكم من قديم الزمان .

### بقية موضوع: تطور مناهج النقد الأدبي في أوروبا

مميّزاتها وخصائصها معتمدين في ذلك التسلسل التاريخي الذي بدأ يعتبر اليوم من أهم المناهج النقدية الحديثة وهو ما يزال يحظى بعناية المفكرين وأهم النقاد في عصرنا هذا . فهل سيكون هذا المنهج منطلقاً لظهور مناهج نقدية أخرى موضوعها دراسة الظاهرة الأدبية أم سيكتفي النقاد بما توصلوا إليه من نتائج ؟؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

1 " 1989 theorie de la litterature " p 44 IKHAMBAOU.

2 " المعجم العربي الاساسي " - المنظمة العربية للثقافة والعلوم - تأليف وإعداد جماعة من كبار القفويين العرب بتكليف من الأكسو .

3 \_ librarie larousse \_ larousse de poche \_

4 - البنيوي structuralisme أو المنهج البنيوي في مجال البحث الأدبي \* مطبوعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان - درس عام 1993

5 نفس المرجع

6 مساهمة القصة من خلال بعض النظريات الحديثة \* ص 90 من مجلة الميلّة الثقافية للرّشيد الغزي .

7 - مطبوعة الدرس العام \* البنيوية structure alisme والمنهج البنيوي في مجال البحث الأدبي \* كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان سنة 1993

8 - درس عام \* المناهج الحديثة \* كلية الآداب والعلوم الإنسانية بـسوسة - درس الأستاذ : محمد النّور .